من مطبوعات مكتب باكستان الإقليمى للرابطة (١)

تعريب أوّل ديوان شعرى بنجابى

أبيات سلطان باهو رح

عربها وقدم لها

الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: فهذه ترجمة عربية لديوان شاعر بنجابى ، قد عاش قبل أكثر من ثلاثة قرون، وبالضبط فى القرن السابع عشر الميلادى، وهى ترجمة أولى بالنثر العربى لهذا الديوان، ولعلها أيضا هى أول ترجمة لأى شاعر بنجابى إلى لغة الناطقين بالضاد، نثرا أو شعرا، وهى مهداة إلى قراء اللغة العربية فى كل مكان من العالم، إذ العربية ، هى لغة القرآن الكريم وعلومه، كما أنها هى لغة الشعب العربى الشقيق، ولكنها لم تعد اليوم مقصورة عليه أو محصورة فى عقر دارها فقط، وإنما هى لغة عالمية ، وإحدى اللغات الرسمية للأمم المتحدة.

والغرض من هذه الترجمة هو إثراء لغة الإسلام، لغة الوحدة الإسلامية، ولغة الإنسان المعاصر فى المستقبل، وفى نفس الوقت، التعريف بالشعر البنجابى الإسلامى العظيم إلى كتاب الأدب العربى وشعرائه وقرائه، وخاصة إلى من أحب منهم ورغب فى الشعر الإسلامى الذى أنتجته القرائح المؤمنة فى بلاد شبه القارة أو جنوب آسيا من أمثال شاعرنا المتصوف الشيخ (سلطان باهو) رحمه الله!.

وأما هذا الديوان، الذى قد أحب صاحبه أن يختار له اسم الأبيات (حيث قد سماه أبياتُ سُلطان باهُوْ)، فهو من بين الدواوين الشعرية البنجابية التى أقبل عليها الناس، الخاصة منهم والعامة، على اختلاف الملل والنحل، من المسلمين وغيرهم، وأعجبوا بها أيما إعجاب، فتداولوها قراءة ودراسة، وشدواً وغناء، وشرحا وترجمة! فالديوان (أو أبيات سلطان باهو كما سماها مؤلفها الشاعر الفذ) مطبوع ومتداول فى أيدى القراء والدارسين، ليس فى شبه القارة فحسب بل فى غيرها من البلاد، على نطاق واسع، كما أنه قد ترجم إلى العديد من لغات شبه القارة ومنها لغات باكستان المحلية كالسندية والبشتوية والبراهوية وغيرها، بالإضافة إلى اللغات العالمية الأخرى، ومنها الأردية والفارسية والإنجليزية، وقد ظهرت له طبعات عديدة فى أوقات مختلفة (إلا أن هذه الطبعات كلها ، بما فى ذلك بعض شروح الأبيات، مليئة بالأخطاء، لأن الذين تكلفوا بتحقيقها أو أشرفوا على طبعها لم يكونوا مطلعين على لهجة الشاعر البنجابية التى ورثها من أمه ومن بيئته، ونعتزم، بمشيئة الله على أن نعود إليها ونهتم بتحقيق الأبيات وإخراج طبعتها الصحيحة المنقحة المدققة) كما أن طبعات التراجم للأبيات قد تكرر ظهورها ونالت إعجاب القراء والدارسين على السواء، وقدروها حق تقدير، وأقبلوا عليها أيما إقبال، وتداولوها فيما بينهم فى كل مكان، والأمل بأن ترجمتنا هذه العربية لهذه الأبيات، سوف تعجب الناطقين بالضاد، وتزودهم بمتعة معنوية جديدة، وتضيف إلى معلوماتهم إضافة قيمة، وتعرفهم، ولأول مرة، بالشعر البنجابى الذى لم يعرفوه ولم يطلعوا عليه من قبل.

وأما الشاعر صاحب هذه الأبيات البنجابية النادرة فهو الشيخ المتصوف والولى العارف (سُلطان باهُوْ) بن الجندى المتقاتل والشجاع المتهور

(محمد بازَيد) الهروى أصلاً، والأعوان نسلا، والبنجابى موطنا، فهو من قبيلة الأعوان المعروفة التى توجد فصائلها وأفخاذها فى طول باكستان وعرضها، وتنتمى إلى القبائل العربية أو الجاليات العربية التى هاجرت خلال العصر الأموى إلى خراسان وبلاد ماوراء النهر، وظلت تتنقل بين المدن والأقاليم المختلفة، فكانت تنزل فى مدينة ثم تكرهها الظروف فتغادرها إلى مدينة أخرى فى البحث عن حياة أفضل، عاملة بقول القائل:

إذا كنت تسعى فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم!

واستقرت أسرة الشاعر بمدينة (هرات) فى أفغانستان، ومنها انحدرت إلى بلاد شبه القارة، وربما مع جيش الفاتح الأفغانى (شير شاه سورى) الذى أطاح بالحكم المغولى فى الهند فى دور نشأتها وطرد الملك (نصير الدين همايون) بن الفاتح المغوار والملك المغولى الأول (ظهير الدين بابر) الذى انتصر على الملك (إبراهيم لودى) وأسس الإمبرا طورية المغولية فى شبه القارة!

وقد استوطنت قبيلة الأعوان هذه بعد انتصار (شير شاه سورى) على الملك همايون المغولى فى أقصى الشمال الشرقى لإقليم بنجاب، وفى منطقة جبلية تعرف بوادى (سُون سَكيسر) واستقرت بها بعد أن هزمت بعض الفئات الهندوكية وطردتها من المنطقة وهى اليوم مديرية من المديريات لمحافظة (خوشاب) ، وهى مدينة قديمة كان (شير شاه سورى) قد جدد بناءها فبنى بها خانا ومسجدا، وله بها آثار تاريخية أخرى قد اندثر معظمها.

واستوطنت أسرة الشاعر المتصوف والولى العارف فى ذلك الوادى الخصب الأخضر، واختارت لها سكنا بقرية تطل على سهل من هضبة ، وتسمى (أنجة)، ولهم بها آثار باقية، وذكريات عاطرة، لاتزال فى ذاكرة

الأهالى للقرية حتى اليوم، ولعل جد الشاعر (فتح محمد) المدفون بمقبرة القرية، كان من جنود الملك شير شاه سورى آنف الذكر، فكان قد انضم إلى الجيش المغولى فيما بعد فدافع عن الإمبراطورية المغولية، وذاد عن وُلاتها، وشارك فى المعارك الدامية واقتحم المغامرات الخطيرة فى سبيل ذلك، وانتصر فيها كلها، وأضاف إلى عزالإمبراطورية وشرفها، مماسر الإمبراطور المغولى (شاه جهان) صاحب "التاج" المعروف (الذى يعتبر من أبرز وأفخر المعالم الإسلامية فى بلاد شبه القارة)، فأقطع لوالد الشاعر أراضى واسعة على مقربة من مدينة (شوركوت) فى ضواحى ملتان آنذاك، اعترافا بخدماته العسكرية الجبارة، وفى هذه المدينة نفسها، قد ولد الولى العارف والشاعر المتصوف الشيخ سلطان باهو، رحمه الله، فى سنة ١٠٣٩هـ(١٦٢٨م).

وقد مات والده وهو لا يزال طفلا صغيرا، فربته أمه العارفة الصالحة والولية التقية السيدة (بى بى راستى)، وهى كلمة فارسية معناها: سيدة الصدق والحق، وحقا قد كانت هى صادقة برة تقية، فربت ولدها خير تربية، وأدبته أحسن تأديب، وهى التى كانت قد سمت ولدها (بَاهُو) وأرى أن الاسم مركب من حرف جر فارسى (با) ومعناه: مع، وأما الجزء الثانى من هذا المركب المزجى الغريب فهو ضمير (لمذكر الواحد الغائب بالعربية، والمراد به (هو الله جل جلاله) والمعنى أنه هو معه دائما أى مع الله عزوجل، وقد يمكن أن تكون السيدة أمه قد سمته على غرار الحضارمة من العرب مثل "بافضل" أى صاحب الفضل و "بانظارة" أى صاحب النظارة، وحينئذ يكون المركب المزجى عربيا خالصا دون شك، ويكون معنى "باهو" أى صاحب الله، أو الذى يكون مع الله دائما، وفى الوجهين كليهما يدل الإسم على معنى واحد وهو قرب الله ومعيته، ولعل السيدة راستى كانت قد اختارت

هذا الإسم لابنها البار لكى يدل على مسماه دلالة دائمة واضحة ومستقلة، وأن يبقى ابنها العارف الولى (سلطان باهو) مع الله فى حياته الدنيا وبعد مماته، ومما يدل على ما قلناه ويؤيده، هو ما جعل الشاعر العارف يفتخر باسمه ويعتز بالدور الذى قامت به والدته السيدة راستى فى اختيار هذا الإسم له، ثم فى تربيته وتأديبه، إذ نراه يذكر أمه فى شعره الفارسى، وفى العديد من مؤلفاته الفارسية فيعتز بدورها فى تأديبه ويفتخر بما سمته به، ومن ذلك قوله:

رحمت وغفران بود بر راستى راستى از راستى آ راستى!!

ومعناه بالعربية: رحم الله (راستى) وغفر لها، إذ هى التى زينت ولدها بالصدق والحق!

ويقول عن أمه، فى بعض ما ألفه من الكتب الفارسية، وقد تكرر هذا الكلام فى أكثر من كتاب وفى أكثر من موضع لمؤلفاته الفارسية الكثيرة المتنوعة، ما معناه بالعربية: "إن والدتى، رحمها الله، كانت بمكانة سامية من الزهد, وذكرالله الخفى ليل نهار، حتى أننى نظرت إلى عينيها غير مرة فبدا لى وكأن الدم الأحمر المتدفق منهما يكاد يتقاطر، وقد رزقنى الله نفس الكيف الصوفى ببركتها، وذلك هو تأثير ذكر الله الخفى الذى يُعرف عند المتصوفة بحضور الحق أو الحضور الدائم فى رحاب الله عزوجل!"

وأما قبيلة الأعوان التى ينتمى فيها شاعرنا المتصوف العارف، والتى لا تزال تسكن فى نفس الوادى أو المنطقة حتى اليوم، فهى من القبائل التى لا تزال تعلن بعروبتها وتدعى الانتماء إلى سلالة عربية، وتوجد شواهد قوية تدل على ذلك، وقرائن واضحة تؤيده، فمن ذلك الخصائل والأخلاق والعادات والتقاليد التى لا تزال القبيلة تحتفظ بها وتعتز، وهى تشبه عادات العرب وتقاليدهم الثقافية فى الحياة القبلية، ومنها المفردات اللغوية العربية التى توجد

فى اللهجات التى تتحدث بها تلك القبيلة، وهى لا توجد بتلك الكمية المتوفرة فى غيرها من اللهجات المحلية التى تتداولها أو تتحدث بها القبائل البنجابية الأخرى فى مناطق بنجاب كلها، وقد قام بعض الباحثين بالبحث فى اللهجات المحلية التى تتحدث بها قبيلة الأعوان هذه من سكان ذلك الوادى فتأكد بأنها تكاد تشبه العرب ثقافيا ولغويا، وهى أقرب المسلمين إلى العروبة فى شبه القارة ، وذلك لأنهم عاشوا فى عزلة بعيدين مما يحدث فيما حولهم من التغيرات!

وقد أكثر الشيخ سلطان باهو فى مؤلفاته الفارسية العديدة وكرر من ذكر صلته بقبيلة الأعوان، وأن أسرته قد انحدرت من مدينة هرات فى أفغانستان، ويتضح مما ذكره الشيخ فى مدخل مؤلفاته العديدة أنه كان يُعرف ويُدعى "بالأعوان" بين المواطنين من سكان مدينة (شوركوت)، فإننا نراه يكرر قوله فى مداخل المؤلفات ومقدماتها قائلا:

"يقول الفقير باهو بن بازيد المعروف بالأعوان" وكذلك يكرر قوله التالى فى أكثر من موضع: "وقد انحدرت أسرته من هرات فى أفغانستان".

ومما يجدر بالذكر هنا، أن البحوث الميدانية التى أجريت قبل الهجوم الشيوعى السوفيتى على أفغانستان كانت قد استنتجت وأثبتت بأن البعض من القبائل العربية التى هاجرت إلى بلاد كابل وهرات، وغزنى ومزارِ شريف فى أفغانستان، لا تزال تحتفظ بالخصائص والعادات والتقاليد العربية حتى اليوم، فقد زار أحد المستشرقين البريطانيين هذه المدن الأفغانية فوجد بها بعض القبائل العربية المهاجرة إليها قديما وهى لا تزال تتحدث بلهجات محلية إن لم تكن عربية خالصة، فإنها تحفل بالمفردات والتراكيب العربية، وتخالطها مفردات من اللهجات المحلية، ثم تبعه أستاذ جامعى باكستانى من قسم اللغة

العربية لجامعة بنجاب بلاهور، فزار مزار شريف وما جاورها من المناطق وصدق وأيد ما قاله المستشرق البريطاني، وقد أعد هو مقالا عن رحلته هذه، ونشره فى مجلة المعارف اللاهورية وجاء فيه بما يؤكد دعوى المستشرق البريطانى المذكور.

ولسنا نرى من المستحيل ما تزعمه قبيلة الأعوان من الانتماء إلى الأصل العربى أو ما يذكره الشيخ سلطان باهو من صلته بالأعوان، ومن انحدار أسرته من هرات إلى بلادشبه القارة، فإذا صح ذلك، ولا يوجد ما يناقض صحته، فإننى أعتقد بأن أجداد الشيخ العارف سلطان باهو يمكن أن يكون قد عاش أوائلهم فى بلاد عدن وحضرموت التى يكثر أهلها من التكنى بمثل هذه الكنى والألقاب، ويرى بعض الباحثين المعاصرين بأن عددا من رجال هذه القبيلة المقاتلة كانوا قد أعجبوا بالمنطقة الجبلية التى تعرف اليوم بوادى (سون سكيسر) فى أقصى الشمال لإقليم بنجاب، وتضمها محافظة (خوشاب)، وقد التزمت أسرة شاعرنا المتصوف بهذه الكنى والألقاب، واستمرت تحافظ على هذه الأسماء مثل بافضل وباحسن وبايزيد و بازيد، ولعل ذلك ما جعل أم الشيخ الصالحة التقية تختار لابنها البار اسما يدل على زهده فى الدنيا والانقطاع إلى الله ، وفى نفس الوقت، يجدد التقاليد المتعارفة لدى الاسرة، فسمته (سلطان باهو) وبذلت جهدها فى تأديب ولدها وتربيته ليطابق المسمى اسمُه، ويدلَّ على ذلك دلالة واضحة!

على الكل، فقد نزلت الأسرة بقرية الوادى التاريخية المعروفة التى تسمى (انجة) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم، وتوجد بها آثار تدل على أن أهل القرية كانوا يكرمون أسرة الشيخ، ويحترمون أمه السيدة (بى بى راستى) وقد احتفظ الأهالى بهذه الآثار، وخاصة المكان الذى كانت السيدة

تشتغل فيه بذكر الله وعبادته، وتوجد بها حقول وأراضٍ كانت ملكاً للأسرة، وقد اكتشف بعض الخبراء بالآثار فى المنطقة قبراً على مقربة من القرية عليه كتابات تدل على أنه قبر جد الشيخ (باهو) واسمه (فتح محمد)، وهذا الإسم، وإن كان يشبه الأسماء المركبة المتعارفة لدى أهالى المنطقة من قبيلة الأعوان، إلا أنه يخالف التقاليد التى تعارفت عليها الأسرة، وأما والد الشيخ باهو فهو (محمد بازيد) الجندى المقاتل والفارس المتهور، وهو الذى قد عرف بمغامراته الخطيرة وفروسيته الرائعة، وله فتوح وانتصارات قد أكسبته الشهرة والثقة عند الملوك المغول الذين قدروا خدماته العسكرية فأغدقوا عليه العطايا وأقطعوا له الأراضى بمدنية (شوركوت)، مما جعل الأسرة تغادر (أنجة) فى وادى (سون سكيسر) لتستوطن بمدينة شوركوت وتتمتع بما أقطع لها الملك المغولى من الأراضى الخصبة الواسعة.

ولا يعرف شئ عن مولد الشيخ باهو غير أنه نشأ يتيما فى أحضان أمه الصالحة الحنون، كما أن المصادر التاريخية لا تنص على شئ من دراساته أو أسفاره فى الطلب والتحصيل، غير أنه كان يعرف العربية ويجيد الفارسية، وبها جل مؤلفاته، والبنجابية هى لغة أمه، وبها قال الشعر فأجاد، ويدعى بعض أتباعه أنه لم يتعلم شيئا من أحد من الأساتذة، وإنما اكتسب العلم بكده وجده، واكتفى بالقليل منه، فلم يتوغل ولم يتقدم فى علوم كان الناس يتداولونها فى عصره، وانصرف إلى التصوف والإطلاع على الطرق الصوفية، وخرج يتجول فى الأماكن والبلاد، فيزورضرائح الأولياء ويمر بالخانقاهات والزوايا الصوفية واستقر أخيرا عند الشيخ العارف (حبيب الله شاه) الذى كان يسكن فى قرية غير بعيدة من مدينة شوركوت، وهى تقع على ضفة نهر من أنهار اقليم بنجاب الخمسة وتسمى هذه القرية (كره بغداد) وقد ذكرها

الشاعر غير مرة فى شعره البنجابى، وهذا الشيخ العارف حبيب الله شاه هو الذى رغبه فى التصوف والزهد فى الدنيا، وأشار عليه بالسفر إلى دلهى عاصمة الهند المغولية والاستفادة من شيخها الشهير عبدالرحمن القادرى الدهلوى الذى كان يحتل منصبا حكوميا كبيرا فى عهد الملك المغولى الصالح (محى الدين أورنك زيب عالمكير) صاحب الفتاوى العالمكيرية فى الفروع الحنفية.

ومن الغريب أن الشيخ باهو لم يذكر أحدا من هذين الشيخين فيما ألف أو قال من الشعر غيرما أورد فى أبياته البنجابية من ذكر قرية (كره بغداد) وحبه لها، حيث أقام مرشده. وشيخه حين قال: "سوف أدخل كره بغداد يوما فى زى المساكين الشحاذين وسوف أشحذ قطعات الخبز من سكانها وأتجول فى أزقتها وأنادى الشيخ وأهتف باسمه!!" ، وأظن أن الشيخ سلطان باهو لم يعجبه كثيرا ما رأى عند ذينك الشيخين المتصوفين مما جعله يرجع إلى هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم ويطلع على ما جاء به من الكتاب والسنة، ويستفيد منهما استفادة مباشرة حتى نال بغيته، واقتنع بما تيسر له من المعارف الصوفية ثم أضاف إليها ما وصل إليه من معارف الشيخ عبدالقادر الجيلانى رحمه الله فى مؤلفاته القيمة ومن ثم نراه يعتز بصلته المباشرة لسيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وأحد أسباطه الأفذاذ وهو الشيخ عبدالقادر الجيلانى رحمه الله!

ومن أغرب الأشياء هى الظاهرة المدهشة التى تفتخر بها قبيلة الأعوان من سكان ذلك الوادى، وهى أنه قد ظهر فيهم أربعة من الأولياء العارفين قد عرفوا جميعهم بالسلاطين الأربعة حيث يسمى كل واحد منهم بالسلطان أى الجزء الأول من أسمائهم المركبة (سلطان) وهم:

١) سلطان باهو

٢) وسلطان مهدى

٣) وسلطان أحمد

٤) وسلطان محمود، رحمهم الله جميعا

وقد توفى الشيخ سلطان باهو، رحمه الله، على أصح الأقاويل، فى سنة ١١٠٢هـ (١٦٩١م) وفى عهد الملك المغولى الصالح عالمكير، ودفن بمدينة (شوركوت) على ضفة نهر من أنهار الخمسة التى تروى الأراضى الخصبة لإقليم بنجاب، وله أولاد وأسباط وأحفاد وخلفاء وأتباع.

وله مؤلفات كلها باللغة الفارسية، وتتخللها عبارات نثرية وأبيات شعرية بالعربية بالإضافة إلى ديوانيه الفارسى والبنجابى، فأما ديوانه البنجابى فهو الذى يعرف بأبيات باهو وقد ترجم إلى العديد من اللغات المحلية والعالمية، ومنها الأردية والفارسية والإنجليزية، ومن حسن حظ الكاتب أنه قد تشرف بتعريب الأبيات البنجابية هذه وتقديمها إلى الناطقين بالضاد، وأما مؤلفاته الكثيرة باللغة الفارسية، والتى قد تجاوزت المئة، فيرى الباحثون بأن معظمها قد ضاع وعصفت بها يد الأيام، وكان قد ألف حوالى مئة وأربعين كتابا، بين صغيرها وكبيرها، وقد تكرر تأليف البعض منها حيث أنه كان يؤلف كتابا ثم يلخصه، ويحكى بعض المؤلفين المعاصرين بأن مؤلفاته هذه كانت عند بعض أحفاده فجاء إليه رجل من الناشرين من سكان لاهور فطالب إلى الحفيد أن يعطيه مالديه من مؤلفات الشيخ الفارسية لكى يترجمها إلى الأردية ولغات باكستان المحلية الأخرى فينشرها حتى يتمكن الخاصة والعامة من الإطلاع عليها والاستفادة منها، فصدقه الحفيد ولم يتردد فى تحقيق ما أراده، وأعطاه المجموعة بأكملها، وفعلا، قد ترجم الرجل البعض من المؤلفات إلى الأردية

فنشرها، وهذه التراجم الأردية متداولة بين الناس، وأما سائر المخطوطات فقد بقيت عند الرجل ولم يستطع أن يترجمها أو يردها إلى الحفيد ، وإنما صارت ملكا موروثا إلى أولاد الرجل الجهلاء الأغبياء الذين لم يعرفوا قدرها فضيعوها، وهم ينكرون وجودها عندهم، ويرفضون أن يردوها أو شيئا منها إلى الحفيد الباهوى أو ورثته، ولا نستطيع أن نجزم القول بشئ فى تلك المجموعة من مؤلفات الشيخ الخطية، أهى باقية يرجى بقاؤها أو رجوعها وردها إلى أحفاد الشيخ باهو رحمه الله، أم ضاعت بأسرها فلا يرجى بقاؤها أوردها إلى أصحابها أو إلى من يهتم بها!!

وأما المؤلفات، التى بقيت واحتفظ بها الزمان وصانها من الضياع، فهى عشرة كتب، بالإضافة إلى ديوانيه الفارسى والبنجابى، وهى:

١- جامع الأسرار

٢- تيغ برهنه أى السيف المسلول

٣- توفيق الهداية

٤- أورنك شاهى أى العرش الملكى أو حكم أورنكزيب

٥- عين الفقر

٦- محك الفقر

٧- أمير الكونين

٨- أسرار قادرى أو الأسرار القادرية

٩- رسالة روحى أى الرسالة الروحية

١٠- إقليد التوحيد

وهى مطبوعة يتداولها الناس، وهى كلها بالفارسية، وإن كانت أسماء البعض منها بالعربية وتتخللها عبارات عربية من النثر والشعر، وقد كان ذلك

من دأب المؤلفين بالفارسية فى ذلك العصر ليس فى شبه القارة فحسب بل فى الأقاليم والبلاد الإسلامية غير العربية كلها!!

وأما ديوان سلطان باهو الفارسى فقد قام بتحقيقه ونشره أستاذ جامعى من أساتذة اللغة الفارسية بجامعة بشاور، وهى إحدى الجامعات الباكستانية العريقة، إلا أن حضرة المحقق لم يتمكن من القيام بواجبه حق قيام، ولم يوفق فى عمله الأدبى كامل التوفيق وأداء المسئولية التى يفرضها الواجب العلمى الأمين على كل من أراد أن يدخل مجال التحقيق أو رغب فى إحياء التراث الإسلامى الغالى من المخطوطات العربية أو الفارسية القديمة التى تحتفظ بها المكتبات العامة فى كل مكان، أو ما يملكه الورثة الجهلاء من أولاد العلماء فى بعض المكتبات الخاصة فى الشرق الإسلامى كله، فإن هؤلاء الجهلاء لا يعرفون قدرها حق المعرفة فلا يستطيعون أن يحققوها ولا هم يتنازلون عنها حتى يقوم غيرهم بتقديرها وإحيائها وتحقيقها ، وتلك هى مأساة كبرى لهذا التراث الإسلامى العلمى الغالى، مأساة اللآلى والجواهر من أثمن المؤلفات وأغلاها!! تلك التى أنتجه الفكر البشرى المؤمن عبر العصور بالعربية أو اللغات الإسلامية الأخرى كالفارسية والأردية وغيرهما! إننا نحن المسلمين – لم نعرف ذلك التراث الغالى حق المعرفة، ولم نقدره حق تقدير، ومن ثم لم نتمكن من الأحتفاظ به كما كان يجب فضلا عن أن ننظم تلك اللآلى والجواهر نظما منسقا فى سلسلة ذهبية من كتب التراث المحققة تحقيقا عصريا و نخرجها للقراء إخراجا، وإنما عرف قدره غيرنا من المستشرقين فى ظل الاستعمار الغربى الغاشم، فنهبوا ما تمكنوا من نهبه ، فهربوا بما استطاعوا تهريبه فعمروا بها مكتباتهم ومتاحفهم فى الغرب وفى أمريكا، وقد أصبحت هذه الخزائن كلها الآن ملكا لهم وحدهم، ويكتسبون اليوم بها ما يكتسبون،

ولا يسمحون لنا أن نطلع عليها أو نعلم علمها إلا إذا دفعنا لهم أثمانا باهظة لنشترى بها منهم صورا لميراث آبائنا وأجدادنا من السلف الصالح!!

والشعر الفارسى للشيخ المتصوف والولى العارف (سلطان باهو) رحمه الله، وهو كشعره البنجابى ، يمتاز بالفكر الشعرى الصائب والتعبير اللفظى الفائق الجميل، وهو شعر يجمع بين حلاوة الفارسية وسلاستها، وبين المعانى الصوفية الأخاذة وتأثيرها البالغ فى النفوس، أنه، هو شعر الرسالة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام، وشعر التوحيد الربانى، قلما يوجد مثله فى شعر غيره من الشعراء المتصوفين المعاصرين له، ولا يسعنا المكان إلا أن نكتفى هنا بدراسة القصيدة الأولى من ديوانه الفارسى، التى تمثل مذهبه فى الفن الشعرى كما أنها تعبر عن فكرته الدينية عن التوحيد كقوة قاهرة غير عادية تجعل من الإنسان العادى الضعيف النحيل قوة غالبة تكاد تسيطر على الكون الواسع، وتسخره من أجل صالح البشرية، وتقضى على كل قوة باطلة تتحدى قوة الحق.

وهذا الشعر الفارسى إنما هو امتداد وتسلسل لما جاء فى أبياته الشعرية البنجابية، ويتضح ذلك بالدراسة المقارنة لهذه القصيدة الفارسية بأبياته الأولى من ديوانه البنجابى؟ أفلا تراه يعلن موقفه من التوحيد وإيمانه به فيقول ما معناه! "إننى لأعلم علم اليقين بأنه لا يوجد معبود فى الكونين غير الله عزوجل، فهو وحده مقصودنا الذى نطلبه، ولا نبغى ربا سواه ولا نعبد إلا الله جل شأنه! فما دمت أنت أيها الإنسان المؤمن تمسك فى يدك سيفا من التوحيد حين تعلن قائلا: "لا إله إلا الله"! فعليك ، إذن، أن تتقدم وحيدا فى معترك الحياة ، ولا تخف ولا تحزن ولا تستعن من غير الله الواحد القهار، لأنه، جل جلاله، هو وحده المعين والمنتصر الفتاح العليم، الذى ينصر عباده

المؤمنين. ويفتح بينهم وبين الكفار بالحق دائما!. فخذ معك أيها المسلم! سيفا من "لا" لنفى الجنس فاضرب به الباطل ضربة قاضية تأتى على الكفار المبطلين واعلن على لسانك قائلا: لا شريك لله لكى يكون ذلك إعلانا بالتوحيد. وكن طالبا لله وحده!!

"وعليك أن تراقب نفسك وتكون على حذر حين تطلب من ربك وتدعوه وترجو رحمته. إذ هو الذى يقصده المؤمن ويطلبه. ويشتاق إلى جواره ورؤيته! وهو الأول والآخر. وهو الظاهر والباطن!. ويتجلى فى الكونين بقدرته القاهرة. ويهدى قلوب عباده المؤمنين ويعمرها بنوره!"

"لا ترى ولن ترى - شيئا فى الكونين غير ذات الله عزوجل فوجوده هو الوجود الحقيقى. وكل شئ غيره. يحتاج فى وجوده وبقائه إلى قدرة الله جل جلاله. فلولا وجوده لما وجد شئ فى الكون فهو البارئ الحى القيوم الدائم الباقى!"

"ألا يا صديقى العزيز! كن فانيا واعتبر وجودك فانيا! فالفناء مصيرك. ولا تشرك بربك أحدا. ولا تعترف بوجود إله ثان أو ثالث أبدا!! فهو الله الواحد القهار. وهو وحده مقصودك الحقيقى. فلا تقصد غير الله. ولا تبع سواه. إذ لا موجود فى الكونين غير الحق سبحانه وتعالى. ولا أعرف ربا سواه فهو وحده ربى الذى أدعوه فيستجيب لى ولا أبغى ربا سواه!"

"إننى آمنت بالله وحده وأنا أطلب الواحد سبحانه وتعالى والواحد هو وحده فى قلبى فيعمره بنوره. وهو الذى ببركته أتقدم وأزدهر. وهو وحده الذى أطلبه وأقصده وأرغب فى لقائه عزوجل!!"

وله قصيده فارسية أخرى عن التوحيد يلقن فيها أتباعه عقيدة التوحيد. ويرغبهم فى الإيمان بالله وحده. والثقة بقدرته والتوكل عليه فى كل

ما يعملونه من عمل أو ما يقدمون عليه من خطوة فى سبيل الله، ويوصيهم بالتحمس للدين القيم واقتحام المعارك من الجهاد والحياة العملية، فيقول لهم:

" تعال معى! نقتحم معركة الحياة العملية و نستعدللتحمس للدين الحنيف والجهاد فى سبيل الله الواحد القهار! فهو وحده الهادى والقوى، فآمن به وحده، وثق فيه وحده، وبذلك سوف تكتسب فرحة الدارين وسعادتهما ، وسوف توفق فى كل خطوة تخطوها، وفى كل لحظة تأتى عليك، فعليك أيها المؤمن الصادق! أن تكون متحمسا جريئا! وما هذا الذى أنت تتحدث به من "لا" لنفى الجنس! لما ذا لا تتقدم معى وتطلب الحق! ولما ذا لا ترغب فى لقاء الله معى! ما الذى يمنعك من السير السريع إلى رحمة الله وحضرته بكل شجاعة وتهور، ودونما خشية أو خوف!؟، عليك أيها المؤمن أن تشرب هذه الخمور القدسية بكل جرءة وتحمس! وعليك أن تقضى على الفوارق التى تبعد المؤمن عن أخيه المؤمن أو تحول دونه ودون الحضور والرجوع إلى الله! أما تسمع الساقى الذى ينادى قائلا: يا صديقى العزيز ابحث لى عن سلطان باهو من هو وماله!!"

وقد ذكر سلطان باهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعره الفارسى غير مرة، ونراه يقتبس من الآيات القرآنية، ألفاظها ومعانيها، كما يقتبس من الحديث النبوى، لفظه ومعناه، وذلك على دأب شعراء الفارسية المتقدمين من أمثال السعدى وحافظ الشيرازى والأمير خسرو الدهلوى وغيرهم، إذ كانوا يزينون شعرهم ويضيفون إلى جماله ورونقه بكلمات من القرآن الكريم أو الحديث النبوى، فنرى الشيخ (سلطان باهو) هو الآخر يقلدهم فيقول:

إنما أموالكم وأولادكم فتنه تمام فاحذروا، لاخير فيهم واسمعوا هذا الكلام

والبيت لا يحتاج إلى التعريب أو الشرح فهو عربى بأسره غير "فتنه تمام"! وهما أيضا كلمتان عربيتان قد جاء بهما الشاعر ليكون بيته هذا فارسيا وليس عربيا! و ليأتى بقافية فى صدر البيت لكى تطابق قافية "هذا الكلام" فى عجز البيت! ويعنى قوله "فتنه تمام": الفتنة الشاملة التامة!!

وله بيت فارسى صدره عربى وعجزه فارسى غير القافية التى هى أيضا عربية فيقول سلطان باهو"

تجوَّع ترانى، تجرَّد تَصِل جه خوش لذت آيد جشى كرعَسَل

ويريد أن يقول فى هذا البيت الممزوج من العربية والفارسية حاكيا كلام ربه الجليل الذى يقول لعباده المؤمنين من الزهاد و النساك: "إذا كنت جائعا تجدنى عندك، وإذا تجردت عن الأدناس تصل إلى حضرتى، وهذا هو عسل الزهاد فلو ذقته لوجدت طعمه!!"

ويقول ما معناه: "إذا أردت البحث عن الصراط المستقيم فتعال معى أدلك عليه إذ هو ليس إلا سبيل الرسل والأنبياء!"

ويدعو إلى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم والسير على هديه وسنته فيقول:

بيرون منه قدم ز شريعة محمدى كرعارفى و محرم أسرار الحقيقت!

أى إذا أردت أن تكون من العارفين المطلعين على أسرار الحق فعليك باتباع السنة النبوية والعمل بالشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام!!"

ولقد رأينا فيما مربنا من الشعر الفارسى لسلطان الفقراء والعارفين الشيخ سلطان باهو، رحمه الله، أنه يؤمن بالتوحيد إيماناً قويا، ويرى بأن عقيدة التوحيد والتمسك بها والعمل بفحواها، إنما هو الدين، وأنه لا زهد ولا

تصوف ولاطريقة خارج الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات! وذلك هو الموقف الصوفى لمعظم الصوفية المسلمين فى شبه القارة بدأ برائد الرسالة الإسلامية ومرشد لاهور ووليها العارف الشيخ أبى الحسن على بن عثمان الهجويرى اللاهورى صاحب "كشف المحجوب"، رحمه الله، ونهايةً بشاعر الشرق والإسلام العلامة محمد إقبال اللاهورى، رحمه الله، فقد كانوا جميعهم يرون أن خطوة واحدة خارج الشريعة الغراء تزل بصاحبها إلى الحضيض الأسفل من النار فلا طريقة عندهم غير الشريعة ولا دين لهم إلا الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام!

ولا نريد أن نتعب القارئ الكريم بإطالة الحديث عن "أبيات سلطان باهو" أو ترجمتها العربية فذلك كله بين يدى القراء، ونترك المجال للدارسين والنقاد والقراء، فهم الذين يقدرون كل ذلك حق تقدير، وهم أصحاب الحق الأبلج فيه، إلا أن المترجم المقدم للأبيات يرى من واجبه أن يشير إلى أهم الجوانب من الموضوع لكى يتمكن القارئ والدارس من الفهم والدراسة لها، ويصل إلى ما يريده من التقييم والتقدير لجهود المترجم المتواضعة إلى جانب المكانة الأدبية للأبيات وشاعرها بين الآداب العالمية لشتى لغات العالم!

فأولا وقبل كل شئ يجب علينا أن نعَّرف القراء الأجانب بإقليم بنجاب وأهله ولغتهم تعريفا موجزا للغاية ، فلعل العالم العربى لم يعرف الكثير ولا القليل عن إقليم باكستان البنجابى الأكبر، وعن أرضه الخصبة الفريدة التى أنجبت الكفاءات البشرية الفائقة بالإضافة إلى إنتاج الثروات والخيرات التى لا تعد ولا تحصى، فإن أرض بنجاب هى أرض "الأنهار الخمسة" وذلك هو معنى كلمة "بنجاب" إذ هى مركب مزجى مكوَّن من كلمتين فارسيتين أولاهما هى كلمة "بنج" أى خمسة، والكلمة الثانية هى "آب" أى الماء، فالمعنى

الحرفى لكلمة بنجاب هو خمسة مياه، وقد بدأ استخدام هذه الكلمة، أو كإسم العَلَم، لتلك الأرض الخصبة، ذات الثروات المعدنية والحيوانية والخيرات الزراعية، فى أواسط العصر المغولى، وقد انقسمت، أو قل قد تمزقت هذه الأرض الخصبة، عند تقسيم شبه القارة، فصارت إلى قسمين، غربى وشرقى، فانضم القسم الغربى إلى باكستان، وهو أكبر أقاليمها الأربعة، ويضم سبعين فى المئة من سكان باكستان كلها، ويزود أهلها بثمانين فى المئة من المواد الغذائية والحوائج اللازمة الأخرى للحياة البشرية، وأما القسم الشرقى لإقليم بنجاب فقد انضم إلى (بهارات) أو الهند فمزقته الهنادكة فقسموه إلى ثلاث مزق، فصار أكبر مزقها لفئة السيخ، الذين يريدون التحرر من الهندوس المتعصبين، والإنفصال عن الهند.

واللغة البنجابية هى أكبر لغة إسلامية فى شبه القارة بعد البنغالية و الأردية، لغة باكستان القومية، والبنجابية لها آداب واسعة، وتكتب بالخط العربى، وتستمد سبعين فى المئة من مفرداتها ومصطلحاتها من اللغة العربية، ويتحدث بها سبعون مليون نسمة فى باكستان بالإضافة إلى سكان القسم الشرقى الذى انضم إلى الهند، وقد أنجبت أرض بنجاب أعلاما من رجال السياسة والعلم والأدب فمنهم الشيخ سعد الله العلامى اللاهورى الذى نال منصب رئيس الوزراء للهند المتحدة فى عصر الملك المغولى (شاه جهان) الذى بنى "التاج" من عجائب المبانى فى العالم، والشيخ العلامة عبدالحكيم السيالكوتى، أستاذ الملك المغولى شاه جهان المذكور، والشاعر الكاتب أبو العلاء الغزنوى اللاهورى، شاعر العربية وأديبها، والشيخ مسعود سعد سلمان اللاهورى، شاعر اللغات الثلاث، العربية والفارسية والهندية، والشيخ الشريف (وارث شاه) الذى نظم قصة (هير) الشعبية البنجابية شعراً، فحاز

بها لقب "شيكسبير البنجابية" ، وشاعر التوحيد والرسالة الولى العارف (سلطان باهو)، والعلامة محمد إقبال اللاهورى، رحمهم الله.

والبيت، وإن كانت كلمة عربية أصيلة، إلا أن الشيخ باهو قد استعارها من العربية فاستخدمها لمعنى آخر جديد وغريب على العربية، إذ لم يعرفه العرب ولا العربية، فهو يريد بالبيت مجموعة من الأسطر الأربعة وقد يمكن أن نسميها المصاريع الأربعة، وقد يكون كل سطر أو مصراع، مستقلا فى معناه عن بقية الأسطر أو المصاريع ، وهى تشترك فى الوزن والقافية.

والحرف الأول، من السطر الأول أو المصراع الأول، يُعبَّن بباب البيت أو موضعه ومكانه فى ترتيب الديوان، فإن الشاعر يسمى بيته أى مجموعته أو وحدته الشعرية، والعبارة عن الأسطر الأربعة "بيت الألف"، إذا كان الحرف الأول من السطر هو الألف، ويسمى بيت الباء، إذا كان حرفه الأول هو الباء، وعلى هذا القياس من البداية إلى النهاية على التوالى.

ولا نستطيع أن نسمى هذه المصاريع الأربعة أو الأسطر الأربعة رباعية، كما هو معروف ومتداول عند شعراء الفارسية والأردية، فهم يسمون القطعة الشعرية رباعية أو دوبيتا، إذا تكونت من أربعة مصاريع، وذلك لأن وزن البيت أو تفعيلته عند الشيخ باهو يختلف تماما من وزن الرباعية أو الدوبيت عند الشعراء الفارسيين أو الأرديين.

وكذلك فإننا لا نستطيع أن نسمى هذه المجموعة أو الوحدة الشعرية، المتكونة من أربعة أسطر أو مصاريع، والتى يسميها باهو بيتا، مثنويا، لأن وزن المثنوى هو غير وزن البيت عند الشيخ باهو، فمعنى ذلك أن مصطلح البيت عند الشيخ سلطان باهو، وإن كان مستعاراً ومستفاداً من العربية، وقد اختاره الشاعر لمجموعته الشعرية أو الوحدة الشعرية الخاصة له، إلا أنه مصطلح

خاص قد ابتكره هذا الشاعر وانفردت به اللغة البنجابية بفضل وجود شاعرها العبقرى الفذ الشيخ سلطان باهو، رحمه الله، وحتى أنه قد اختار هذه التسمية لديوانه البنجابى فسماه أبيات باهو" ولم يسبقه شاعر بنجابى آخر غيره قد سمى ديوانه بهذه التسمية النادرة!

وقد تجاوز عدد هذه الأبيات المئتين مع اختلاف العدد الذى يوجد بين النسخ الخطية والمطبوعة للديوان، ولاتخلو نسخة من المنحول المدسوس وقد أكثر الناس فى ذلك للسببين أحدهما سهولة الوزن والقافية وخفتهما والثانى هو عداء الحاقدين المعاندين الذين أرادوا أن يسيئوا إلى الشاعر أو حب أتباعه الجهلاء الذين أساءوا إلى مرشدهم حيث أرادوا أن يحسنوا إليه أويضيفوا إلى ديوانه ويزيدوا فى قدره وثقله! وقد بذلنا ما كان فى وسعنا من الجهد فى التمييز بين الأصيل والمنحول من شعره والتفريق بين اللب والقشر، إن شاء الله العزيز الذى يوفق عباده للتمييز بين الخطأ والصواب!

وأما موضوعات الأبيات وقضاياها التى تناولها الشاعر، ورأى فيها رأيه، فهى كثيرة متنوعة وأهمها وعلى رأسها:

١) عقيدة التوحيد والرسالة، وهى من الأركان الخمسة الأساسية التى يقوم عليها الدين فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل المعروف كما أنها من الموضوعات الشيقة المرغوب فيها عند شعراء المسلمين فى كل لغة من لغات العالم الإسلامى فى القديم والحديث، ومنهم شاعرنا البنجابى الفذ سلطان باهو، رحمه الله، وقد مر بنا عرض موجز سريع لما جاء فى شعره الفارسى عن عقيدة التوحيد، حيث تناول الجانبين من التوحيد، وهما النفى والإثبات، فالمراد بالنفى هو"لا إله" والإثبات هو"إلا الله" فالشاعر يرى أن "لا" سيف قاطع يأتى على الشرك، ويقضى عليه نهائيا،

فلا يترك مجالا لأى إله أو معبود باطل، دون الله عزوجل، فإذا كان سيف"لا" القاطع الفارق بين الحق والباطل فى يديك أيها المؤمن، فلا تخف ولا تحزن، إيمانا وثقة منك بأن الكون كله تستطيع أن تأتى عليه و على كل ما يقف فى سبيلك أو يحول دونك، إذ لا موجود فيه غير الله الواحد القهار، فهو وحده الموجود والوجود الحقيقى لله وحده!

ذلك ماجاء فى شعره الفارسى عن عقيدة التوحيد، وأما فى ديوان البنجابى هذا، والذى سماه"بأبيات باهو" فإن الشاعر العارف تتجلى شاعريته الفذة وعبقريته النادرة فيه بكل قوة فيأتى بنوادر الاستعارة والتشبيه إذيقول:

"اسم الله شجرة الياسمين وقد غرسها المرشد الهادى محمد صلى الله عليه وسلم فى قلبى، فأصابها الماء، من النفى والإثبات، وسرى ذلك الماء إلى كل عرق، وكل مكان من الجسد، ثم أخذت الشجرة هذه تتفتح وتزدهر، وبدأ الروح يفوح من الداخل فعاش ذلك المرشد الذى غرس تلك الشجرة المباركة فى القلب!"

فقد شبه الشاعر فى بيته هذ، الإيمان بالله بشجرة الياسمين طيبة الرائحة، وشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالبستانى الذى يطهر القلوب ويزكيها ثم يغرس فيها الإيمان بالله عزوجل، وأراد بالنفى" لاإله" وبالاثبات" إلا الله" وشبههمابالنهرين، أحدهما يطهر القلب من أدناس الشرك، والثانى يروى زرع الإيمان بالله، إلا أن ذينك النهرين ماؤهما لايقصر على منطقة القلب الذى إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسدكله، وإنما يتعداها فيسرى إلى كل عرق من العروق، وإلى كل مكان من الجسد!، والقصة لاتنتهى هاهنا وإنما يرى الشاعر بأنه إذا كانت الحبة الواحدة هى حبة

الإيمان بالله، وإذا غرسها محمد صلى الله عليه وسلم فى قلب مؤمن من أمته، وأصابها ماء النفى والإثبات، فلا بد للحبة أن تصبح شجرة، ولا بد للشجرة أن تتفتح وتزدهر وتثمر، ولا بد للزهور أن تتشذى وتفوح، ولا بد للثمار أن تكون حلوة طيبة لكى تكون تغذية صالحة للمؤمن القوى! وهذه صورة رائعة عن الإيمان بالتوحيد ولعل الشاعر قد استقاها مما جاء فى الكتاب العزيز عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام حيث قال الله، وهو أصدق القائلين: "محمد رسول الله والذين معه- إلى أن قال- مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع...!!!"

وشاعرنا لايكتفى بذلك ولايقف عند هذا الحد وإنما يرى من واجبه أن يشكر الله ويشكر رسوله الذى جاء هاديا فغرس الإيمان بالتوحيد فى قلوب المؤمنين، فلولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد بعث وأوحى إليه وأبلغ الرسالة، لما أمكن لهم أن يرزقوا بهذا الإيمان الصادق القوى "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم" وذلك ما جعل سلطان باهو يقول:"عاش ذلك المرشد الهادى صلى الله عليى وسلم الذى جاء بالإسلام والإيمان فغرس شجرته فى قلوبهم جميعا!!"

وكلمة التوحيد الطيبة" لاإله إلا الله محمد رسول الله" لها تاثير بالغ فى النفوس، وهى دواء لكل داء، كما أنها هى سعادة المؤمن فى الدارين كليهما يقول سلطان باهو:

" ولا يوجد دواء يفيد القلب غير الكلمة الطيبة التى هى وحدها دواء مجرب ينفع القلوب! إن الكلمة الطيبة هذه تزيح الصدأ عن النفوس كما أنها تطهرها من الدنس والوسخ! والكلمة هى الجواهر واللآلى كما أنها

هى نفسها حانوت العطار! والكلمة(ياباهو!) هى الثروة كلها هنا أوهناك فى الدارين كليهما!"

الشيخ سلطان باهو متصوف متشرع، وهو من هؤلاء الصوفية المؤمنين الذين يتبعون الشريعة ويرونها أصل الطريقة وأساسها ، فالطريقة عندهم هى الشريعة ويرون بأن الإنحراف عنها قيد شعرة إنما هو كفر ورندقة وضلال، ولا يقبل عمل عامل عند الله دون الإيمان بشريعته صلى الله عليه وسلم والعمل بها ولا إيمان ولا دين إلا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبه واتبع شريعته ويقول باهو:

"ولا يقبل عمل من أحد إلا من آمن بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وحضر فى جنابه فلا أذان ولا صلاة دون الإيمان به! حتى ولو أنهم صاموا وصلوا النوافل ساهرين الليل كله! وأن الحضور فى جنابه صلى الله عليه وسلم لا يتحقق إلا بحضور القلب حتى ولو أنهم أدوا زكاة الأموال وتأكد (ياباهو!) أن التقريب إلى الله سبحانه وتعالى لا يتحقق إلا بالفناء فى حبه عزوجل! وحتى أن الصلوات مع الجماعة لا تنفع شيئا فى ذلك أى لا دين دون الإيمان بالله وبرسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم!"

ومن أغرب الأشياء أن الشيخ باهو، رحمه الله، قد خرج هائما فى الآفاق يبحث عن شيخ طريقة يأوى إليه ويستفيد منه فيبايعه مرشدا له إلا أنه لم يوفق فى ذلك ولم يعجبه شيخ من شيوخ وقته، وأخيرا قرر فى نفسه أن يلجأ إلى الكتاب والسنة فعكف عليهما دراسة واسترشادا فاتضح له بأنه ليس فى حاجة إلى شيخ أو مرشد يبايعه وإنما يكفى له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الهدى والرشاد فاتخذه له مرشدا، وهو المراد والمقصود عنده بالهادى والمرشد فى شعره الفارسى والبنجابى كله وما ألفه

من الكتب كلها، ونراه يتوق إلى زيارته ورؤيته، والحضور لديه فى جنابه، والمثول بين يديه فى رحابه، وذلك دأب الأبرار المحبين من أمته صلى الله عليه وسلم.

٢) نقده للمتصوفين المزورين الغشاشين: و"أبيات باهو" هذه تضم نقدا لاذعا للعديد من الطبقات الاجتماعية، ومنها و على رأسها، طبقة رجال الدين والصوفية الذين يدعون الدين وهو برئ منهم، وهم بعيدون عنه، إنهم قد احترفوا التصوف، على أنه وسيلة من وسائل الاكتساب، دون أن يكون لديهم رغبة فى الصلاح والتقوي، أو فى طريقة من الطرق الصوفية، فقد تصوفوا ولبسوا الخرقة الصوفية لكى يكتسبوا بها ثقة الناس، ويأكلوا بها أموالهم بالباطل، وبالغش والمكرو الكيد، دون أن تكون لهم صلة بالدين أو الرغبة فى العمل بمبادئه السمحة، أو إبلاغه إلى الناس أو دعوتهم إليه، لهؤلاء المتصوفين الغشاشين الكاذبين يقول سلطان باهو:

"والذين لا يطلبون الله وإنما يبحثون عن زبائنهم ويطلبونهم من بين الناس! لكى يحصدوا أغراضهم ويساموا المريدين، لأنهم لا يخافون غضب الله ولعنته! ويدَّعون العشق المجازى الذى هو لعبة تزل بها الأقدام! وهم يمشون بالخطى العشوائية الخاطئة! إن المتصوفة من أمثالهم سوف يخجلون أمام الله يوم الحشر يا باهو! والذين يتاجرون بالدين لا نصيب لهم فى الآخرة!"

وينقد الشاعر العارف هؤلاء الغشاشين الماكرين من المتصوفة نقدا لاذعا ويزجرهم زجراعنيفا فيشبه ما يشتغلون به من الذكر بصياح الطيور التى تصيح مبكرة فتزعج النائمين وتوقظهم ! إن هؤلاء الضالون المضلون قد أضاعوا أعمارهم وقد خسروا الدنيا والآخرة، ويقول عنهم باهو:

"وإن هؤلاء الزهاد الجهلاء يأتون مبكرين كل صباح ويقومون بأعمالهم من العبادة والذكر إلا أن أعمالهم هذه تمثل صراخ الغربان و النسور المتشابهة الأصوات، والتى تنضم إليها القنبرة هى الثالثة، إنهم يصيحون ويصرخون ويبذلون الجهد الذى يشبه جهد الطيور المذكورة التى تصيح وهى تخرب حقول العنب! وقد أنفقوا أعمارهم فى هذا السفر الطويل من الجهد الصوفى يا باهو، ولكن دون جدوى من ورائه، ودون أن يحصلوا على شئ طوال حياتهم المتعبة المكدودة!"

وهو يعلن برائته من هؤلاء، الصوفية ويوصى الناس بالابتعاد عنهم، فهم الذين قد ضلوا طريقهم و يضلون غيرهم ويهدونهم إلى طريق الهلاك والبوار، إنهم لن يصلوا إلى الله ولا صلة لهم بالدين:

"وأبواب الأديان رفيعة صعبة الدخول، وأما طريق الرب سبحانه وتعالى فإنما هو أقرب الطرق، ويوصل إلى الله عزوجل وحيث ترىالبناديت (من رجال الدين الهنادكة) والمولوية من رجال الدين المسلمين والكهنوت، فعليك أن تمربهم مرا سريعا خفيفا خاطفا! إنهم يضربون أعقابهم على الأرض، ويغمزون ويضحكون من أهل الطريقة الرحماء الصادقين المتعاطفين، لأنهم أعداءلهم! فعليك يا باهو أن تجدلك سكنا ومكانا حيث لا يوجد أحد من أصحاب الدعاوى الكاذبة هؤلاء"

٣) دور القلب فى حياة الإنسان الروحية والخلقية: القلب عند أطبائنا هو منبع حياة الإنسان العملية ومركز نشاطه صباح مساء. فالحياة عندهم فى مظهرها المادى إنما هى عبارة عن تدفق الدم وجريانه فى عروق الإنسان وجسده، فإذا سكت القلب وتوقف نشاطه، انقطع تدفق الدم وجريانه وبذلك انقطعت سلسلة الأنفاس التى تمثل الحياة، وأما القلب فيماجاء به

الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة فهو أن القلب له دور حيوى وأصيل فى حياة الإنسان الظاهرة والباطنة، من قوله وعمله وسلوكه وسيرته، فالكتاب العزيز يخاطب القلوب التى هى وحدها تتدبر فى آياته، وقد نص فى أكثر من آية على أن قلب الإنسان هو كل شئ منه، فهو لا يفكر و لا يفهم وحتى لا يرى إلا بقلبه: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور" وقد أخبر الصادق الأمين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن صلاح الإنسان وفساده إنما يقصر على قلبه:" إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب!" و فى الحديث القدسى يقول الله عزوجل بأنه لم يسعه الكون كله، ولكن وسعه قلب العبد المؤمن! ويرى زهير بن أبى سلمى أن القلب هو نصف الإنسان ونصفه الآخر هو لسانه

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وللقلب مكانة عند الصوفية المسلمين، ولهم فيه مذاهب وآراء، وأما شاعرنا العارف الشيخ سلطان باهو فإن القلب عنده سر من أسرار القدرة الربانية، وهو موضوع خاص ومهم لشعره البنجابى، وقد تناول فيه جوانب القلب المختلفة فجاء بالبدائع من الوصف له، قلما يوجد فى شعر غيره من الشعراء، وقد خصص له عدة أبيات من ديوانه البنجابى، ومنها قوله:

"وإن القلب أسرع من سيول الأنهار وأعمق من أعماق البحار فأنى لأحد غير الله أن يطلع على أسرار القلوب ورموزها! فالقلب فيه السفن، وفيه المعارك، وفيه الأجداف، وفيه الملاحون، وفيه كل شئ! وحتى أن أربعة عشر طبقا من أطباق السموات والأرضين، يسعها القلب، وهو محلها! و أما العشق الجبار العنيد فقد نصب خيمته داخل ذلك القلب الأسرع الأعمق

الأوسع! فالذى عرف هـذا القلـب وفهمـه فبإمكانـه يـا بـاهو أن يعـرف رب القلوب الذى لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار!"

والله جل جلاله هو قبلته ومأواه، كما أن بسـالة الإنسـان وشـجاعته بقلبه القوى، وبه يتخلص الإنسان من الحيرة والدهشة، وأما كمال القلب فهو فى جماله كما أن جمال الإنسان فى قلبه الجميل، وإن صـاحب الوجـه الأسـود خير من صاحب القلب الأسود".

فهذه هى آراء الشاعر فى القلب الإنسـانى، ونكتفى هنـابيت آخـر من أبياته الكثيرة التى وصف فيها القلب وهو قوله:" والقلـب نهـر مـن أنهـر المعرفة والوحدة والوجدان، وفيه أمواج تمثل سيدنا الخضر عليه السـلام، كمـا أن فيه آلاف من الورطات المتلاطمة! وأن أهل الطـرق الصوفيـة مـن النسـاك السالكين يقفون عليه حائرين مندهشين، وأن حيرتهم ودهشتهم هذه لا حصر لها ولا حساب! إننـى غريـب عـن هـذا النهـر مـن المعرفـة كمـا أننـى ابتليـت بالعشـق أى حـب الله الطـاهر، وبالإضافـة إلى ذلـك فـإننى خـام، ولا أعـرف الطريق، ولا خبرة لى به! وقد نسيت اللهو واللعب يا باهو حـين ذقـت كـأس العشـق وعرفـت لذتهـا، أى إذا عـرف القلـب لـذة العشـق وذاق حـب الله ورضوانه، فقد تنازل عن غيرها من اللذات، ونسى غيرها من الأشياء كلها!"

وبعد: فكانت هذه هى فذلكة من حياة الشاعر وترجمته، ونبـذة يسيرة من ديوانه الشعرى البنجابى الذى سماه صاحبه" بأبيات باهو" ونرى الآن مـن الواجب اللازم أن نشير إشارة موجزة إلى ترجمتنـا هـذه التـى نقدمهـا للقـارئ العربى الكريم، والتى هى أول ترجمة عربية لديوان شاعر بنجابى، كما سـبقت الإشارة إليه فى مدخل حديثنا هذا, وأما عن مكانة هذا العمل الأدبى المـترجم وقيمته بين الآداب العالمية، فإن القارئ الكريم أو النـاقد البصـير، هـو الـذى

يستطيع أن يقومه أصح تقويم وأعدله، وهو جدير بهذا التقويم، وله الحق الأبلج أن يقدره حق تقدير أو يقومه تقويما ، ولسنا نريد أن نحرمه من هذا الحق أو نمنعه من المداخلة فيه، ولكن الذى نريد أن نصرح به و نسجله فى هذا المقام، لكى نعطى القارئ أو الناقد هو قدر قليل من المعلومات التى تسهل عليه أن يعرف خلفية هذا العمل الأدبى المترجم المتواضع، ويمكّنه من الحكم عليه، وهو على أرضية سليمة من معلومات، تؤهله ليرى رأيه فيه، وذلك كما يأتى:

أولا:المترجمون أنواع ولهم أراء ومذاهب فى الترجمة، فمنهم من يترجم، وهو لا يفهم ماجاء فى الأصل، ولا يريد أن يعرف ماذا جاء به هو فى ترجمته، وإنما يكفى له أنه مترجم! ومنهم من لا يفهم الأصل ولكنه يأتى بما يمكن القراء من الفهم، ويستحسنون ماجاء به حتى ولوكان كلامه على عكس ماجاء فى الأصل فهذا القسم من المترجمين يسمى بالمترجمين الأحرار ولا يهمهم أن المؤلف فى واد ومترجمه فى واد آخر، فالأصل عندهم هى الحرية فى التعبير والسلاسة فى البيان! وقسم ثالث يؤمن بالترجمة الحرفية، ونوع رابع يؤمن بالترجمة الحرة السلسة المرنة فيقرأ النص قراءة جيدة فيستوعبه استيعابا جيدا ثم يصب ما استوعبه فى قالب جميل من الأسلوب الذى يقرب القارئ من الأصل وفى نفس الوقت يزوده بمتعة أدبية رائعة وهؤلاءهم المترجمون المؤلفون أى يترجمون ويؤلفون فى نفس الوقت وهناك نوع خامس من المترجمين يعرفون لغة النص الذى يريدون ترجمته ويفهمونه كما أنهم يعرفون اللغة التى يترجمون إليها، ولكنهم رغم ذلك كله، قدلا يستطيعون إبلاغ ما عرفوه وفهموه إلى قرائهم، ولعلنا فى ترجمتنا هذه، من هذا النوع الخامس والأخير!

ثانيا:وقد علمتنى التجربة بأن ترجمة شعر من لغة إلى لغة أخرى شعرا، هو أصعب شئ، إن لم يكن من المستعصى المستحيل، ولا يمكن ذلك إلا إذا كان الشاعر المترجم أو المترجم الشاعر- يجيد اللغتين كلتيهما، ويكون قادرا على القريض بهما فى الوقت نفسه!

ثالثا: ونرى أن ترجمة الشعر من لغة إلى لغة أخرى نثراً، ليست سهلة فحسب وإنما هى أفضل الطرق الإبلاغية للشعر إلى لغة أجنية كما أنها هى من خيرما يقوم به مترجم من لغة إلى أخرى، وأجمل هدية أدبية يقدمها المترجم إلى قرائه الأجانب الذين لا يستطيعون أن يصلوا إلى النص الشعرى وصولا مباشرا، فالنثر مجاله واسع وبسيط فى نفس الوقت.

رابعا: ويرى مترجم هذا الديوان الشعرى البنجابى أن الترجمة الحرفية لنص أدبى تسئ إلى فهمه ولكن الترجمة الحرة المستقلة البعيدة عن النص الأدبى تعتبر جناية عليه! فلا حرفية ولا حرية فى الترجمة بل الأمر بين الأمرين، بحيث إذا أراد قارئ أجنبى لترجمة ما، أن يتعلم معنى المفردات للغتين فلا يحول دونه حائل ولا يمنعه مانع، وفى نفس الوقت لا يمل من قراءة الترجمة، ويرى أنها تكاد تبلغ الأصل، وذلك هو المبدأ الذى يتبعه- وقد اتبعه- مترجم هذا الديوان!

خامسا:والترجمة ليست بعمل هين لين سهل، يستطيع أن يقوم به كل من هب ودب، كما يظن بعض الناس، بل الترجمة فن من الفنون الأدبية صعبة المنال، وإن المترجم لهذا الديوان لا يدعى الكفاءة ولا المهارة فى هذا المجال إلا أنه قد قام بهذا العمل المتواضع لأسباب ثلاثة:أولها اهتمامه بالأدب الإسلامى اينما كان وحيثما وجد، والثانى هو حبه وإعجابه بالشاعر العارف سلطان

باهو، رحمه الله، والثالث أنه يجب التقريب بين اللغتين لغة دينه العربية، ولغة أمه البنجابية- وبين آدابهما-إذا أتيح له أو أمكن له ذلك.

وأخيرا، وليس آخرا يجب الصراحة بالقول بأنه إذا صح أو أعجب القارئ ما ترجم من الديوان فالفضل فى ذلك يرجع إلى شاعرنا العارف الولى سلطان باهو، رحمه الله، وإذا وجدت أخطاء أو أى شئ غير سليم، فإن المسئولية بتمامها فى ذلك ترجع إلى المترجم، والله من وراء القصد، وهو ولى التوفيق.

لاهور فى ٢٠٠١/١٠/٢١م

ا.د.ظهور أحمد أظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

(عقيدة التوحيد التى جاء بها الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم فغرسها في قلوب المؤمنين فجعلت منهم أبطالا فرسانا و أباة شجعانا ، يتحدث عنها الشاعر (سلطان باهُو) شاعر التوحيد والرسالة فيقول:)

قد كان اسم الجلالة ، "الله" جل جلاله ، بمنزلة شجرة الياسمين ، طيبة الرائحة ، حسنة التأثير ، وقد غرسها في قلبى مرشدى الكامل ألا وهو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى قد غرس هذه الشجرة الطيبة في رُوعِيْ وفي سواد قلبى! ثم أصابها الماء النقى الطاهر المطهر من نفى الشرك وإثبات التوحيد بقولنا (لا إله إلا الله !) وقد سرى هذا الماء ، من نفى الشرك وإثبات التوحيد ، إلى كل عرق من عروق الجسد، و في كل مكان منه! حتى أن تلك الشجرة الطيبة الحسنة قد أخذت تتشذى و تفوح بالرائحة الطيبة داخل صدرى، وبذلك قد بدأ الروح يتفتح ويزدهر! إذن فأقول (ياباهو!) عاش مرشدى الكامل صلى الله عليه وسلم ، الذى قد غرس هذه الشجرة الطيبة في صدرى و في قرارة قلبى وضميري!

(٢)

(والنفس الأمارة بالسوء قلما تطيع لأحد غير أولياء الله الكرام!): إنك أيها الناسك قد قرأت اسم "الله" عز اسمه فكررت قرائته حتى حفظته حفظا جيدا، إلا أنك لم تتمكن من إزاحة الحجاب عن قلبك! وقد تعلمت الكثير من العلم حتى صرت عالما من العلماء الأفاضل المعدودين ثم جئت تطمع فى

الدنيا وتطلب مافيها من الزخارف والأموال! وكذلك فقد درست مئات الألوف من الكتب ولكنك لم تتمكن من تطويع النفس الظالمة المتمردة الأمارة بالسوء! والواقع، (يا باهو!) أن الفقر من ميزات أولياء الله وأحبائه ، فهم وحدهم الذين قد قهروا هذه النفس الأمارة بالسوء اللص الرابض في داخل الإنسان و باطنه!

(٣)

وإن السالك إلى ربه الجليل، حين يُرزَق بلقاء الله والنظر إليه، يَفنى وجوده تلقائيا حيث ينسى هو نفسه! وأن الوصال أو القربة ليست بمكان ولا بمنزلة حيث لا جسد ولا روح هناك! فالوصال هو نهاية الحب أو العشق حيث لايبقى الكون والمكان! وحينئذ (يا باهو)! قد أصبحنا عين العين فذلك هو سر وحدة الله سبحانه وتعالى حيث لايبقى إلا وجه الرب ذى الجلال والإكرام!!

(٤)

(وكلما اقترب العارف من الله ازداد حبا وشوقا إليه ، وتأكد له أنه عزوجل ، أقرب إلى عبده من حبل الوريد!): قد عرفنا الله سبحانه و تعالى حين تقدم بنا حب الله عزوجل وبرق بريق العشق في قلوبنا! وأن حب الله جل جلاله لايزال يحرض المحب العاشق الولهان ليل نهار تحريضا شديدا فيتقدم به في معرفته سبحانه و تعالى كل يوم حتى أن السالك العاشق الولهان ليشعر في قلبه باللهيب من النار والوقود والدخان! وأننا (يا باهو!) قد وجدنا الله عزوجل أقرب إلينا من حبل الوريد وذلك حين تقدم بنا حبنا له عزوجل و ازدهر فينا العشق السرمدى ازدهارا!!

(٥)

(و الزاهد فى الدنيا وزخارفها هو وحده الذى يستريح من حرصها ويأمن من بوائقها!): إن دنيانا هذه فى قذارتها تشبه الحائض التى لايمكن غسل قذارتها بالماء مهما فركتها وحاولت تنظيفها! ورغم ذلك ، فقد رأينا العلماء الأفاضل والشيوخ الأجلاء يتوقون إلى الدنيا وما فيها فيكون عليها حين ينزوون أو يلجأون إلى زواياهم! فأما الذين ، قد ملأوا بيوتهم بالدنيا وزخارفها وثرواتها، ولا يستريحون ولا يهدأون، فلا يستطيعون أن يناموا نوما مريحا! وأما الذين قد تركوا هذه الدنيا وما فيها وزهدوا فيها (يا باهو!) فقد تحرروا من قيودها وتراهم قد غادروا بيوتهم الخالية الفارغة من الزخارف و وقفوا خارجها عاطلين حيث لاشئ في داخل بيوتهم ولا في أيديهم فلا يخشون عليه من اللصوص أو السراق! أى الفقير المعدم لا يخاف اللصوص!).

(٦)

وإن قلبى كان قد سمع قول الرب سبحانه وتعالى يوم الأزل: ألستُ بربكم؟ فأخذ قلبى، منذ ذلك الوقت ، يصرخ ويقول كل يوم: بلى يارب! أنت ربى وآمنت بك! ومادام حب الوطن أى الجنة التى هبط منها أبونا آدم، قد غلب حبها علينا، وغمر قلوبنا، فإننا غير مسموح لنا أن نستريح فى الدنيا نياما غافلين عن الرجوع إلى وطننا، ولو لحظة واحدة! وقاتلكِ الله أيتها الدنيا اللعينة الدنيئة! فقد رأيناك تحاولين جاهدة أن تقطعى طريق الحق على أهله البررة الكرام! ولكن تأكدي أيتها الخادعة الكاذبة ! إن العشاق المخلصين والمحبين الصادقين لله لن يُقبِلوا عليك أبدا، وعلى أية حال من الأحوال، و

على الرغم من بكائك المحزن و تضرعك الملح بين أيدى هؤلاء العشاق والمحبين (يا باهو!) لأنهم لن يلتفتوا إليك أبداً!!

(٧)

وإن نفسك هذه الأمارة بالسوء الخادعة لك يا سالك! قد تكون لك رفيقة طيبة وصديقة حفية منيبة طائعة إذا قهرتها ، وتطيع أمرك! ولكنها إذا رأت لقمة دسمة شهيَّة من الأكل، فإنها هى التى تقهر العلماء الزهاد على الخضوع لها! وأما الذين قهروا هذه النفس الأمارة بالسوء فهم الذين قد عرفوا الله ربهم حقا! ولكن سبيل الفقر الغيور الأبى (يا باهو) لصعب وَعِرٌ خطيرٌ ! و أنه ليس بسهل هين أبدا مثل الحلوى السائغة التى قد تعدها لك امك الحنون أى أن الطريق الصوفي ليس سهلا!

(٨)

وإننا قد عرفنا حقيقة الأزل والأبد، وما حدث أو سوف يحدث، وقد شاهدنا كل ذلك فمضينا ثمة متفرجين على المناظر كلها! وإن القلب وسع وُسْعَةَ الأفلاك لابل قد وسع أربعة عشر طبقا من أطباق السماوات والأرضين، ولكنه في الوقت نفسه، يبقي مشتعلا بلهيب الحب الإلهى ، ويبدو كأن هذه الأفلاك أو أربعة عشر طبقا من السماوات والأرضين، قد تحولت إلى أفران مضطرمة من النيران الملتهبة! إن الذين لم يتمكنوا من إدراك الحق قد خسروا الدارين، الدنيا و الآخرة! و أما عشاق الله المحبين له (يا باهو) فقد اقتحموا منغمسين في ساحة الوحدة، وتستطيع أنت أن تتفرج على مناظرهم من الطاعة والحب فى سلوكهم إلى ربهم الجليل عزّ اسمه!

(٩)

و كلمة هُوْ(أى ضمير هُوَ) (والتى هى جزء من اسم الشاعر) فى الباطن وهُوْ فى الظاهر! ونفسك هذه تضوء وتتلألأ بحبه (أى بحب هُوْ!!) سبحانه وتعالى ، وأن شعلة حبه عزوجل هى التى تشتعل داخل القلب دائما! وحيث يصل نور الله السرمدى (أى نور هُوْ!) يهرب الظلام من ذلك المكان! وأنا أفدى بنفسى (يا باهُوْ) لمن يعرف ربه و يدرك رحمته الواسعة و يُرزق حبه الخالص!

(١٠)

وإن نصف اللعنة على الدنيا ونصفها الباقى على أهلها الطلاب الطامعين الراغبين فيها وفي زخارفها! و أن الذى لم ينفق ماله فى سبيل ربه البارئ، فقد استحق ضربات من غضب الله ولعنته! وأن هذه الدنيا العجوز الماكرة تحرض الآباء على أن يذبحوا أبناءهم الأبرياء! وأما الذين تركوا هذه الدنيا وزهدوا فيها (يا باهو) فقد نالوا رحمة الله ورضوانه ، وهم الذين يتمتعون بجنات الربيع فى الدنيا والآخرة!

(١١)

(ويلح الشاعر على ترك الدنيا والزهد فيها فيقول:) إن دنيانا هذه قذرة مثل الحائض التى لا يمكن لها أن تتطهر مادامت حائضاً! وكذلك الذى يدعى الفقر والزهد فى الدنيا بينما منزله عامر بثروات الدنيا وزخارفها فهو لايستحق لقب الفقير! إنه لكاذبٌ ملعون فى حياته الدنيا! وذلك لأن حبك للدنيا يمنعك من حب الله عزوجل ومن السلوك فى سبيله ! إذن فيجب عليك أن يهمك أمرك فتفكر فيه تفكيرا مبكرا، وقبل فوات الأوان! و عليك

(يا باهو!) أن تطلق الدنيا ثلاث تطليقات بائنة لا رجوع فيها، فذلك هو القول الصادق و الحق المبين!!

(١٢)

(و يقارن الشاعر سلطان باهو بين حب الله وبين الايمان به ، ويقول) كل امرئ تراه يتمنى الحفاظ على إيمانه وسلامته من الآفات ، وأما الحفاظ على حب الله وسلامته من العوادى ، فذلك مما يطلبه القليلون جدا! وترى الناس يتمنون الإيمان الكامل، ولكنهم يخجلون أن يطلبوا الحب الكامل السالم من الآفات! والواقع أن الحب أو العشق هو الذى يستطيع أن يوصل السالك إلى مكان لم يخطر ببال الإيمان ولم يصل إليه أبداً! أما عبدك (باهو) يارب! فإنه يتمنى عليك ويتضرع إليك أن تحفظ حبه لك، ودعاؤه هذا على أساس إيمانه بك!

(١٣)

(وهذه كناية بديعة عن حنينه إلى رؤية مرشده المصطفى صلى الله عليه وسلم وتعبير مبتكر غير مسبوق إليه حيث يقول!) لو تحوَّل جسدى هذا كله إلى عيون فأستطيع أن أرى بها مرشدى الحبيب صلى الله عليه وسلم لما رَوَّيْتُ نفسى وما اقتنعت بهذه الرؤية الخاطفة العاجلة بهذا العدد الهائل من العيون! حتى ولوكانت فى أصل كل شعرة من شعر جسدى مئات الألوف من العيون فطفقتُ أفتح عينا وأغمض أخرى لما كفانى هذه الرؤية المتكاثرة المتكررة، ولأخذت أسارع فى طلب المزيد من العيون! وذلك لأننى أنا (يا باهو!) أعتقد و أرى بأن نظرة واحدة إلى مرشدى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم تعوضنى عن الحج وتساوى ، فى أجرها وثوابها، بمئات آلاف الملايين من الحج!!

(١٤)

(لا قرار ولا طمانينة لك يا زاهد فى صلوات ، ولا فائدة لك فيها، إذا لم تطع محمدًا صلى الله عليه وسلم ولم تتبع شريعته و سنته!!) إن صلواتنا التى نصليها بكل قلب وخضوع، لاتنفع حتى ولو تكررت ، إذ أننا ننويها مرة واحدة وتتكرر قيامها وركوعها وسجودها، إلا أن قلبى لايطمئن إلى ذلك ، وإنما يبقى معلقا بين الحياة والموت فلا يموت ولا يحى في فراق المرشد ! والحق أن طريق محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق والصدق إذهو وحده يهديك إلى الله ويقودك إلى حضرته وجواره!

(١٥)

(عقيدة التوحيد و مدى تأثيرها فى نفوس المؤمنين) إن كلمة التوحيد التى لقنها العشق الربانى قد أثارت لوعة فى النفوس! إنها هى الكلمة التى تضم أربعة عشر طبقا من السماوات والأرضين بما فيه القرآن الكريم والكتب المقدسة والعلوم بأجمعها إذ هى أساس الأشياء وأصلها فى الكون ، والناس يقطعون القصب ليصنعوا منه الأقلام ولكنها لاتقدر على أن تكتب فوائد التوحيد! وكلمة التوحيد هذه قد علمنيها سيدى ومرشدى المصطفى صلى الله عليه وسلم يا (باهو!) فلم يبق حزن ولا ألم إلا وقد قُضِىَ عليه قضاء حاسما ونهائيا!

(١٦)

إن عيون العشاق المحبين قد احمرت احمرارا، كما أن وجوههم قد اصفرت إصفرارا، وتستطيع أن تسمع أصوات الآهات والصرخات التى ترتفع من داخل القلوب ! والسبب فى ذلك أن الوجه الكريم المعطر الفائح

قد غاب عن العيون واختفى وراء الحجب والأستار! فإنَّ الإثنين لايختفيان ولا يمكن كتمانهما، وهما العشق أو الحب والمسك! فلا بد أن يبرز وينتشر كل واحد منهما دون أى تأخير أو انتظار و أن الذين تمكنوا من الوصول إلى حيث لامكان هناك، هم الفقراء حقا يا باهو!!.

(١٧)

وإن جسدك هذا أيها الإنسان الناسك؟ إنما هو مسكن الحق سبحانه و تعالى ، فعليك أن تطلّ فى داخلك! ولا تكن فى حاجة إلى دليل من أمثال سيدنا الخضر عليه السلام، وذلك لأن ماء الحيوان إنما هو فى صدرك أنت ألا وهو قلبك! وعليك أن تضئ مصباح العشق فى هذا الظلام الحالك لكى تتمكن من العثور على المتاع المفقود! وأن الذين أدركوا رمز الحق جل شأنه قد ماتوا قبل أن يموتوا!

(١٨)

وإن جسدك هذا إنما هو مسكن الحق سبحانه وتعالى وقد ازدهر فيه القلب كما تزدهر أشجار الحديقة فى موسم الربيع! و فى داخل القلب إبريق الوضوء وسجادة الصلاة حيث أماكن السجود! وفيه الكعبة وفيه القبلة ، وفيه أفضل الذكر "لا إله إلا الله!" وقد وجدت المرشد الكامل المصطفى صلى الله عليه وسلم يا (باهو) فهو الذى سوف يفتقدك و يدركك ويقودك إلى الصراط المستقيم!

(١٩)

إن هذه الدنيا التى نعيش فيها إنما هى بادية ذات الأشجار الملتفة و المجنبات المخيفة ،وأن الشاطئ الذى يكون فى معرض الإنهيار فإنه لا محالة منهار

ساقط يوماً ، إذا لم يكن اليوم فغدا! والذين يسكنون عند ضفة الوادى لاينامون نوما مريحا أبدا ، ولا يمكن بناء السد حيث يجتمع الماء و الرمال معا يا (باهو!).

(٢٠)

والذين لايطلبون الله و إنما يبحثون عن زبائنهم و يطلبونهم من بين الناس! لكى يحصدوا أغراضهم ويساوموا المريدين، فهم لا يخافون غضب الله ولعنته! ويدَّعون العشق المجازى الذى هو لعبة تزل بها الأقدام ، و هم يمشون بالأقدام العشوائية الخاطئة! إن المتصوفة من أمثالهم سوف يخجلون أمام الله يوم الحشر يا (باهو) و الذين يتاجرون بالدين لا نصيب لهم فى الآخرة!

(٢١)

إن اسم الجلالة "الله" جل جلاله كشجرة الياسمين و يغرسها مرشدى الكامل صلى الله عليه وسلم فى قلبى! وأن المرشد الجميل الكامل يعلمهى ويهدينى إلى طريق يحبه ويرضاهُ! إنه ليذكرنى دائماً فهو الذى يقيمنى ويقعدنى ، ويتصرف فى وجودى! وهو الذى يعلمنى طريق المعرفة والرجوع إلى الله فيصير بذلك مرشداً معلماً!

(٢٢)

وإن قولنا "بسم الله" هو أثقل حلية و أجمل زينة لكلامنا ، وجمال على ألسنتنا، إذ فيه اسم ذات "الله" جل جلاله ، وفيه كل بركة! وأن البشر جميعا سوف يستغفر لهم سيدالكونين صلى الله عليه وسلم ، فعليه صلوات من الله وعباده، لاحدلها ولاحساب! إذ هو صاحب المكانة الكبرى والمرتبة العظمى!

والذى نال نصرته وحصل على التائيد منه صلى الله عليه وسلم يا(باهو) فأنا أفدى له نعم الفداء!

(٢٣)

وقد غمر الربيع الحدائق كلها، ذلك الربيع الذى يخجل منه أزهار النرجس بكل دلاله وبهجته! وذلك لأننا اكتشفنا الكعبة فى قلوبنا! ألا وهى كعبة الحب النقى! حب الله جل جلاله! وبه يتم طواف الطالب إذا أحب الحضور فى بيت الله الحرام! قد رفعت الحجب والاستار كلها و أصبحنا حجيجاً يا (باهو) لأن الله سبحانه و تعالى قد هدانا إلى طريقه من كرمه عزوجل(حب الله الصادق فى قلب السالك يساوى طواف الكعبة)

(٢٤)

(الشاعر يحب الشيخ الجيلانى ويعتبره مرشدا له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) إن العلامة أو الدليل الذى يدل على مدينة بغداد هى أشجار الصنوبر العالية الشاهقة! وقد كنت فيها إذ تقطّع بدنى وقلبى كأنه قطعٌ متطايرة من الثوب فى دكان الخياط! وقد جعلت من هذه القطع المتطايرة كفنا لنفسى فالتحقت بجماعة الفقراء الشحاذين ! وأرانى كأننى أشحذ قطعات من الخبز فى بغداد، و أنادى بقولى يا عبدالقادر الجيلانى أين أنت!؟

(٢٥)

وقد وصلنا إلى بغداد فساومنا مساومة جديدة هناك! وذلك أننا قد تحملنا حمل الأحزان الثقيلة لكى نحصل على قليل من الحكمة! وكان الحمل ثقيلا و المنزل

بعيدا، إلا أننا قد وصلنا إليه أخيرا. يا (باهو) قد عرفنا ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، وبذلك أدركنا جماله عزوجل!

(٢٦)

ولا يقبل عمل من أحد إلا من آمن بالمصطفى صلى الله عليه وسلم و حضر فى جنابه فلا أذان ولا صلاة دون الإيمان به! حتى ولو أنهم صاموا وصلوا النوافل ساهرين الليل كله! وأن الحضور فى جنابه صلى الله عليه وسلم لا يتحقق إلا بحضور القلب حتى ولو أنهم أدوا زكاة الأموال! و تأكد يا (باهو) أن التقرب إلى الله سبحانه و تعالى لا يتحقق إلا بالفناء فى حبه عزوجل! وحتى أن الصلوات مع الجماعة لا تنفع شيئا فى ذلك (أى لادين دون الإيمان بالله وبرسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم!)

(٢٧)

وإن قليلى الأدب من الزهاد لا صلة لهم بالأدب والأخلاق ولا نصيب لهم فيه، وإنما راحوا محرومين عاطلين من الآداب والأخلاق كلها أن الأوانى من الطين لايمكن لها أن تصبح الأوانى المعدنية مهما نظفتها كما أن المحرومين العاطلين من الحب العذرى الصادق لايمكن أن يكونوا العذريين أو العشاق الصادقين! وكذلك القلوب التى لم ترغب فى الحضور يا (باهو) فقد راحت محرومة خاسرة فى الدارين!

(٢٨)

وعليك أن تُلْقِى فى ماء النهر ما لديك من شرف الزهاد ويجب عليك أن تلطخ وجهك بالسواد! ويكفى لك أن تكون كلمة "لا إله" (من نفى الشرك)

كحلية فى عنقك ولا يهمك المذهب ! وأن كلمة التوحيد "لا إله إلا الله " قد تمكنت فى قلبى فسمت بها مكانتى و ارتفعت بها منزلتى! وقد أتيح لنا يا (باهو) أن نشرب كأسا من ماء الحياة على أيدى سيدنا الخضر عليه السلام! (من نفى الشركَ و آمن بالتوحيد فقد نجا).

(٢٩)

وإنهم قد شدَّوا وثاقنا فرموا بنا إلى الأرض فهبطنا من السماء إلى الأرض! فقد طردونا و نفونا من ديارنا، وهكذا لاقينا ماقدرلنا فى لوح المقادير! وخَلِّيكِ أيتها الدنيا فلاتخاصمينا لأن قلوبنا واجفة خائفة! إننا الأجانب الغرباء فى هذه الديار يا(باهو) و وطنا بعيد جدا مما تزداد به همومنا لحظة بعد لحظة (وقد طرد الإنسان من جنة الفردوس فهى وطنه الموعود وسيعود إليه يوما!)

(٣٠)

وإنهم قد تعلموا حروف التهجى كلها حتى صاروا علماء أفاضل إلا أن أحدا منهم لم يتعلم حرفا واحدا ألا وهو حرف الألف فى بداية اسم الجلالة!! وأما الذين تعلموا ذلك الحرف، فإنهم لم يدركوا عمقه! أو تعلم البعض منهم دون الفائدة ! وقد ضاء أربعة عشر طبقا إلا أن العميان لايرون فى ذلك الضياء شيئا! وإذا لم يتحقق الوصل بالله عزوجل يا (باهو) فلا داعى إلى القصص الخرافية والحكايات الفارغة التى تُحكى وتنتشر!!

(٣١)

إننى شقى سيئ الحظ جدا، فإذا عفا الله عزوجل عن آثامى فهو وحده الذى يقدر على أن يغفر لى! إن الناس يتعلمون العلم فيتكبرون به ، فهم مثل

الشيطان وسوف يلقون فى نارجهنم ، و آلاف مؤلفة من الناس يخافون عذاب النار بينما الكثيرون منهم يعرضون عن الجنة! وأما العشاق من الزهاد يا (باهو) فإن فى أعناقهم سكاكين، ويُذبحون بها بين أيدى الأحباء لهم أى أنهم مستعدون لكل تضحية فى حب الله!!

(٣٢)

وإن العلماء يكثرون من تحصيل العلم لكى يكتسبوا به إعجاب الناس ، فما فائدة هذا العلم الغزير إذن!؟ إن الحليب إذا فسد لايمكن أن تستخرج منه الزبدة مهما حاولت فى غليانه وإعداده لاستخراج الزبدة منه! قل لى أيها الإنسان الأخرق! ماذا اكتسبت بهذا الإثم الذى اقترفته بإقلاع الزروع من أصولها؟! فعليك يا (باهو) أن تأسو قلوبا جريحة حزينة فإن ذلك عمل يُعادل عبادات المئات من السنين!!

(٣٣)

وإن العلماء يكثرون من إكتساب العلم فيتكبرون به كما أن حَفَظَةَ القرآن الكريم يتباهون بتلاوتهم! إنهم يتجولون فى الأزقة مثل الشحاذين المساكين ليستفيدوا بكتبهم التى تأبطوها! إنهم يكثرون من قراءة الكتاب العزيز حيث يرون الأطعمة الدسمة الشهية الغزيرة! والذين يكتسبون الرزق ببيع الآيات، قد خسروا الدنيا و الآخرة يَا (باهو) وعن أمثالهم يقول الله القادر العليم فى كتابه العزيز ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا!)

(٣٤)

وإنهم يكثرون من اكتساب العلم لكى يُعْرفوا بين الناس بالمشائخ الكبار، وهم يضاعفون العبادات رئاء الناس ! والواقع أن مقر الباطن فى معرض

الخطر من قبل هؤلاء اللصوص والسارقين، وهم لا يعرفون شيئا عن ظاهرهم ولاعن باطنهم ، ويجهلون أن داخلهم مسروق منهوب! فعليك أن تزيح الضباب عن قلبك لأن الذى يلجأ إلى الله عزوجل يستريح دائما! و يجد رَبَّه يا (باهو) من لايسترق ولا يكون غافلا فى الحياة الدنيا!!

(٣٥)

وقد أكثروا من اكتساب العلم فدرسوا الآلاف من الكتب لكى يُعرفوا من بين كبار العلماء! ولكنهم لم يتقنوا كلمة العشق فضلوا الطريق! إن نظرة واحدة ينظر بها العاشق بإمكانها أن تنجى آلافا من البشر! بينما مئة ألف نظرة لونظربها عالم لايمكن له أن تنقذ أحدا من الناس! إن المسافة بين العشق والعقل لطويلة جدا حيث تبعد بمئات الأميال! والذين لم يشتروا العشق يا (باهو) فقد خسروا الدارين أى حب الله فوق العلم الذى لا ينفع.

(٣٦)

وقد تعلم الواحد منهم علما غزيرا فازداد كبرا و غرورا ، وبالتالى انحط عقله انحطاطاً! وهكذا ضل سواء الصراط فلم ينفعه العلم ولا العقل! وإذا أتيح لك أن تنال الرأس بتضحية الرأس فإن صفقتك هذه لرابحة جدا! وادخل سوق المحبة يا (باهو) ولكن مع قائد سالك يعرف الطريق أى العالم المتكبر لاعقل له كما أن العابد العالم فوق العابد الجاهل!

(٣٧)

وإن الطاهرين لا ينجسون أبدا حتى ولو عاشوا بين القذارة و النجاسة! وأنهار الوحدة قد تدفقت إلا أن قلبك لم يشعر بذلك على الإطلاق! فالواحد

منهم عاش فى وسط الأصنام ولكنه عرف ربه بينما الآخر منهم قرأ الكثير ، ولكنه ظل جالساً فى المسجد ولم يستطع أن يعرف ربه! وقد رأينا البعض منهم قد تنازلوا عن العلم وأقاموا صلوة العشق يا (باهو) فأنقذتهم من الهلاك!

(٣٨)

وإذا اتخذت شيخا فلم يقدر على إرشادك و إرضاء طلبك فلا فائدة فى اتخاذك إياه شيخاً! و كذلك إذا وجدتّ مرشدا ولكنه لم يقدر على إرشادك فلا فائدة فى ذلك المرشد! وأن الهادى الذى لاتجد لديه هداية فلا تتخذه لك هاديا! وإذا أمكن لك أن تضحى برأسك أى أن تقطع رأسك يا (باهو) لكى تعرف بذلك ربك فلا تخف من ذلك الموت!

(٣٩)

وقد اخترق ثوبك بعد أن بلى، فإلى متى يخيط الخياط هذا الثوب المخترق البالى!؟ إننى لم أعثر على من يعرف حالتى ، وإنما وجدت أثرة فى كل من لاقيته! ولا يكشف عن مرض الباطن العضال إلا المرشد الكامل و العارف الخبير! وعليك أن لا تتردد يا (باهو) فى اختيار الطريق الوعر الذى يخافه الناس إذا كان الطريق يقودك إلى ربك!

(٤٠)

والقصور (أى الحواس ، و فى هذا البيت تمثيل و فظورة) خمسة وهذه الخمسة كلها مضيئة فأين أحُط المصباح ياترى!؟ والعمد (كبار القرية أى الحواس الباطنة) خمسة وهذه الخمسة كلها محصّلون ، إذن فإلى من ندفع الضريبة!

والأئمة خمسة كما أن جهات المصلى خمسة، إذن ، فكيف وأين نسجد!يا (باهو)؟ إذا طلب منك المولى عزوجل رأسك فلا تتأخر ولا تتردد فى ذلك!

(٤١)

وقد أصبحنا من الزهاد فى الدنيا حين اكتسبنا الفقر الغيور الغزير! وقد عثرنا على طريق الفقر يوم أخذنا كشكول الفقر بأيدينا! وقد شربنا النهر الكامل من الوحدة الربانية إلا أننا لازلنا العطشى نطلب السقيا! إن الذين يسلكون طريق الفقر الغيور يا (باهو) إنما يدمعون الدماء ولكن الناس يعتبرون ذلك لعبة بسيطة أو طريقا سهلاً ولكن طريق السلوك ليس هينا لينا!

(٤٢)

وعليك أيها الإنسان أن تُعدَّ لك زورقا من التوكل ثم تستطيع أن تسبح فى بحر المعرفة كالرجال الأبطال! وإن الصعوبة التى تقودك إلى السهولة ، لاتخفها إطلاقا! فقد ورد فى الكتاب العزيز "إن مع العسريسراً" فعليك أن تركز على ذلك ، وتهتم به! إن حضرة الجلالة الإلهية حضرة صمدية فعليك أن تدفع لها ضريبة الدعاء الملح باكيا خاشعا متضرعا يا (باهو)!!

(٤٣)

ولقد جعلت مدينة عامرة من قالبى وقلبى ، وفى هذه المدينة حارة خاصة واسمها القلب! و قلبى هذا قد عَمَّره الله عزوجل بجلال وجوده، وذلك مما عزانى وزودنى بالهدوء والسلوى! على أننى أسمع كل شئ فأرى الناس لا

يتحدثون إلا بما سوى الله! وأن هذا السر الغامض قد عرفه اهل الله المحبون له يا (باهو) وأما غيرهم من الناس فلا نصيب لهم منه غير الزجر والطرد!

(٤٤)

وأن الفرس العربى الأصيل لايخفى على الفرسان أبدا حتى ولو كان السرج قديما باليا! وأن الفارس الحقيقى قد اقتحم المعركة على الإعلان بالدفوف فاكتسب اللعبة! إن الفارس الحبيب قد جعل القلوب تجول بضربته القاضية وذلك حين رأى إلينا بنظرات قاتلة! ماذا حدث يا (باهو) بهؤلاء الذين لم يتمكنوا من إرضاء الحبيب لهم أى عجزوا عن السلوك إلى الله عزوجل وخسروا الدارين؟!

(٤٥)

وإنك قد احترفت السبحة أيها الزاهد وتدَّعى أنك من أولياء الله و أحبائه! ولكنك لا تحرك حبة القلب أبدا و فى عنقك سبحة ذات مئة حبة! وإذا كانت مناسبة السخاء والعطاء وسئلت لكى تعطى جعلت تتردد و أخذتك غصة! وأما إذا أتيح لك أن تأخذ شيئا من الناس وثبت إليه وثبة الأسود ، وأما إذا كانت القلوب قاسية كالحجارة يا (باهو)! فلافائدة فى نزول الأمطار الغزيرة فالأصل هى الصلاحية والاستعداد للحسنات والتقى والصلاح!!

(٤٦)

ويصير الطالب فقيرا بسرعة وفى طرفة عين و دون أى تأخير حين يخسر النفس ويضحى بها فى سبيل العشق أوحب الله عزوجل! وذلك لأن العاشق

المحب لله عزوجل يضحى بقلبه الشفاف ونفسه الراضية المطمئنة فى سبيل من يحبه! أيها الطالب أنك لا تستطيع أن تدرك المطلوب إلا إذا تركت الأثرة ومشاكل الدنيا وأطماعها ، وتحررت من جميع الأثقال والمطالب المادية ! والواقع يا (باهو) أنك لن تستطيع أن تدرك غرضك المنشود من الوصال ولقاء الله، ولو غيرت الملابس والأزياء، إلا بعد الموت!!

(٤٧)

أنت تستفيق أم لاتستفيق أيها الفقير الزاهد المتصوف أو سوف يوقظك الحاجة فى نهاية المطاف! ولن يتفتح قلبك ولو أغمضت عينيك و إذا انتبه ضميرك وروحك، فحينئذٍ تدرك غرضك! وقد اتضحت لى هذه النكتة فأعلنتُ بها على رؤس الأشهاد! وكنت قد ضللت الطريق يا (باهو) فأرشدنى و هدانى مرشدى الكامل إلى الحق!

(٤٨)

وقد دورتَ السبحة وحولتها ألف مرة ولكنك لم تحوِّل قلبك ولم تروِّضه أيها الطالب السالك! فماذا تستطيع أن تكسب باتخاذ السبحات ودورتها!؟ قد اكتسبت العلم ولم تكتسب الأدب والكرم فما الفائدة من اكتساب هذا العلم!؟ و قد دخلت مراقبات الأربعينات فلم تستفد شيئا منها، فما الفائدة من هذه المراقبات الأربعينية؟ وأن الحليب لا يروب دون الروبة أى خميرة اللبن يا (باهو) حتى ولو جعلت الحليب أحمر اللون بالغليان ألف مرة فالأصل فى طرق التصوف والسلوك هو الجد والإخلاص!!

(٤٩)

وإذا كنت مستقيما ثابتا صادقا فى عملك وسلوكك فإنك تستطيع أن تتقدم فى طريق السلوك والزهد وتدرك ربك و تعرفه، ويجب أن تذكر ربك بقلبك و بكل وجودك حتى أن كل شعرة من شعرك يجب أن تنطق بذكر الله عزوجل صباح مساء! وحتى فى الظاهر والباطن والعيان، وحتى لاتسمع شيئا غير اسم الله عزوجل! و أن الذى يعيش فى قبره ويخلد بعد موته هو الفقير الولى الغيور حقا يا (باهو)!!

(٥٠)

وإن الذين ضحوا بكل ما كان لديهم من النفس والنفيس فى سبيل الله عزوجل وحبه ، هم وحدهم الذين قد نالوا العشق الثابت القوى! إنهم ليسوا بالصوفية كما أنهم لايدعون الصفا والنزاهة ولا يسجدون فى المساجد رئاء الناس! و إذا أردت أن تصبغ القماش الأزرق القديم باللون الأزرق الجديد فلن تفلح أبداً فى محاولتك هذه! وإن رجال الدين من القضاة يهتمون بالشرع ولكنهم لا يصلون صلاة العشق يا (باهو!) أى حب الله يقتضى التضحية لا الأثرة ويحتاج إلى الجِد لا الهزل!

(٥١)

و الذى يتمناه القلب لا وجوده فضلاً عن أن يتحقق ذلك ، و إذا لم توافق حبيبك بدواء قلبك وعلاجه ، فإن العشق سوف يظل نافرا مبتعدا عنك ! لأن مجال الحب والعشق مجال ساخن ملتهب شديد الالتهاب ! وأنا أفدى بروحى ونفسى يا باهو لمن يقتحم مجال العشق الملتهب ويتوغل فيه!

(٥٢)

وإذا أردت أن تدرك سر التوحيد، فعليك بلزوم المرشد الكامل والقيام بخدمته! لأن المرشد الكامل بإمكانه أن يلقى نظرة واحدة على نورات غير متفتحة من وجودك فيجعل منها أزهارا متفتحة! أى يجعل أبرارا كاملين! ولو كانوا من الناس غير الكاملين! وقد يمكن أن تكون شقائق النعمان من بين هذه الأزهار المتفتحة! وإن الذين يفارقون الأحبة والأصدقاء يا (باهو)، يخسرون دنياهم وعقباهم!

(٥٣)

والذى يدرس باب الألف (يعرف الألف من كلمة الله عزوجل)، ليس فى حاجة إلى دراسة باب الباء (لايحتاج إلى معرفة غير الله أو ما سواه!) لأنه قد استغنى عن الأسماء الصفاتية كلها بعد أن أدرك الإسم الذاتى أى اسم ذات الله جل شأنه! إن ذلك السالك يعرف نفسه الأمارة بالسوء ويعتبرها كلبا ذليلا يعاديه و يضله عن الطريق فلا يتحمل دلالها و أهواءها! والذين يعثرون على نجار فى داخل بيوتهم لا يحفلون بمن فى خارجها (فمن عرف نفسه فقد عرف ربه!!).

(٥٤)

وإن القلب الذى لا يشترى العشق شقى جدا وإن بدا لك سعيداً ! وأن المعلم الذى علمنى فى الأزل درسا، قد أعطانى لوح القلب فكتبت فيه درسى ولن أنساه أبدا! وإذا أدركت حب الله فلا تتكبر حتى ولو أكرهتك نفسك على ذلك! وإن درس التوحيد قد أوصلنا إلى الله يا (باهو) فلا داعى إلى غيره من الدروس!

(٥٥)

وإن الذى قد رزق بقلب فلم يشتر به العشق والحب فقد قسا قلبه! وأن القلب الذى يبقى غافلاً هو شر من الأحجار والحصى! وأن القلب الذى لا يرغب فى حب النبى صلى الله عليه وسلم و يعرض عنه فهو رجيم شقى و محروم! والذين لم يضحوا بالنفس والنفيس فى سبيل الله يا (باهو)، لن يدركوا ربهم ، وسيبقون محرومين أبدا! أى لايمكن لك أن تدرك شيئا من أهدافك دون التضحية والجد فى سبيله!!

(٥٦)

وإن الذى ملك قلبا فلم يشتر به العشق أى لم يشغله بالحب، فإن ذلك القلب لايمكن أن يعرف الألم! وأصحاب هذه القلوب الفارغة القاسية لايعرفون بالرجال الأبطال وإنما يسميهم الناس الخناثى والمخصيين! إنهم يهيمون حيارى فى الأزقة كما تهيم الثيران المجنونة فى البادية! إن الرجولة وغير الرجولة تتضح يا (باهو) حين يتزينون بزينة العشق وحلى الحب! أى بطولة الزهد والسلوك إنما هو الجد و العناء والتضحية والفناء!

(٥٧)

ويوم سجدت سجدة على عتبة بابك يامرشدى الحبيب، منذ ذلك اليوم لم أعرف أى باب آخر حيث كنت فديتك برأسى وضحيته على بابك! إن أصحاب الأسرار يضحون برؤسهم ولكنهم لايبيحون بالأسرار! وأنا أفدى بنفسى يا (باهو) لمن يحتفظ بأسرار العشق فلا يظهرها على أحد من البشر أى كتمان السر ضمان لتحقيق الهدف وبلوغ المرام!!

(٥٨)

وإن الطهارة والنظافة دون الحبيب الطاهر صلى الله عليه وسلم إنما هى نجاسة يعنى العمل الصالح دون العمل بشريعته صلى الله عليه وسلم ليس بشئ! وبعضهم قد سلكوا الطريق إلى الله رغم أنهم عاشوا فى معبد الأصنام بينما البعض الآخر منهم ظلوا يعبدون فى المسجد، ولكنهم لم يسلكوا الطريق فلم يصلوا إلى الله ! وقد فاز بلعبة العشق من لم يتردد فى التضحية بنفسه! والذى لم يضح بما كان لديه من النفس والنفيس فى الطلب الصادق لم يصل إلى الله عزوجل ولم يدرك ما أراد أن يدركه ولم يستطع أن يحقق ما أراد تحقيقه!

(٥٩)

وإن لحظة الغفلة هى لحظة الكفران، وذلك ما علمنا المرشد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد سمعنا ما قيل لنا فانتبهنا إليه و عرفناه، وذلك لأننا قد أصغينا إلى حديث المولى جل جلاله! وقد بعنا لله نفوسنا ، وهكذا اكتسبنا العشق الحقيقى! وقد مُتْنا قبل أن نموت يا (باهو) وبذلك حققنا الهدف المنشود!

(٦٠)

وحيث يُشترى مثقال من العشق هناك يدفع المن من الإيمان أى كلما قوى الإيمان قوى العشق! وإن إكثار القراءة و الاشتغال بالأوراد لن ينفعك لأنك لا تستطيع أن تفوز بشئ دون المرشد ولو سهرت الليالى وظللت تقرأ فيها وتذكر الله! ويجب أن نموت قبل أن نموت يا (باهو) لكى نفوز بما نريد الوصال بالله عزوجل و نعرفه حق معرفته سبحانه وتعالى!

(٦١)

وإن العشق فى جسد الإنسان كالأسد فى البادية أو كالصقر فى البيت يجول ويصول ! ولاصراف كالعشق الذى لا يُبقى ولا يذر شيئا داخل الذهب أى ينظف العشق جسد الإنسان فيطهره من كل وسخ وقذارة! وأما العشاق فإنهم لايشعرون بالنوم أو الجوع أبدا كما أنهم لا يموتون أبدا! وقد رأينا العشاق يكتسبون الخلود يا (باهو) عندما يطأطؤن رؤسهم بين يدى ربهم ويسجدون له فى تواضع و خشوع!!

(٦٢)

وأن الذين اكتسبوا عشقا حقيقيا يصمتون دائما فلا ينبجسون ببنت شفت ! و إنهم يشتغلون دائما و يقيدون النفس بذكر الله والتفكير فى كونه! إنهم يذكرون ربهم سرا و علانية بأرواحهم و فى قلوبهم فى كل زمان و مكان! إننى أفدى بنفسى يا (باهو) لمن يوقظ قلب الطالب السالك بنظرة واحدة فيجعله لا يفارق ذكر الله ولا يخلو من حبه!

(٦٣)

وإن الأحياء أنى لهم أن يعرفوا حال الموتى؟ وإنما يعرف حالهم من يموت! ولا ماء ولا غذاء فى القبر حيث تكون الحاجة إلى نفقة يأتى بها الإنسان من داره فى الدنيا وهو العمل الصالح! فهناك فراق الأبوين والإخوان بالإضافة إلى عذاب القبر! ويالله من الحظ السعيد لمن يموت وهو فى الحياة الدنيا يا (باهو!!) أى يموت قبل أن يموت!!

(٦٤)

ومن أراد أن يموت حيا فعليه أن يعيش فى ديار الفقراء! فإذا ألقى عليك أحد نفاية أو سقط المتاع، فيجب أن تتحمل منه ذلك مثل الكومة! وإذا سبك أو طعن فيك أحد فلا تقل له أف، بل يجب أن ترحب به! كما يجب عليك أن تسمع بهدوء وطمانينة ما يأتيك من الشكاوى ضدك أو مايواجهك من شغب و ذل من قبل الناس، واعتبر كل ذلك من قبل الحبيب وتحمله بكل قلبك! إن زمامنا فى يد القادر المطلق جل وعلا يا (باهو) فعلينا أن نتحمل الشدائد التى قدر الله لنا فى سبيله وما أحب لنا أن نتحمله بصبر وحلم وطاعة ورضا!!

(٦٥)

وإذا كان رضوان الله مقصورا على من يغتسل أو يطهر بدنه، لنال رضاه الضفادع والحيتان! وإذا كان رضاه يمكن بالشعر الطويل، لنا له النعاج ذات الصوف الطويل! ولو كان رضاه يقصر على سهر الليالى ، لنا له البوم الذى لاينام ليلا أبدا! ولو أمكن رضاه بالعزوبة والتجنب من الجماع بالإناث لناله الثيران الخصيئة! ولكن الله لا يرضى بهذه الأعمال التافهة كلها يا (باهو)، وإنما يرضيه ، جل جلاله، صدق النية و العمل الصالح والحسنات الطيبات!!

٦٦

وإن الذين قد عرفوا الله بألف الإسم الأعظم فقد حفظوا الكتاب كله بتفسيره ، فهم لا يحتاجون الآن إلى أن يفتحوه مرة أخرى فيقرأوه ثانيا! إنهم قد أحبوا الله من أعماق قلوبهم فأزيحت عنهم الحجب والأستار! إن النار والجنة رهن إشارتهم فقد أخذوها تحت تصرفهم! إننى أفدى بنفس يا (باهو) لمن اقتحموا نهر التوحيد الهائل المتدفق نوراً و جمالاً!

(٦٧)

ولو كان الدين بالعلم لما رُفعت رؤس الشهداء على الرماح يوم كربلاء! فقد كان عدد العلماء يومئذ قد جاوز ثمانية عشر ألفاً ، فلماذا لم يموتوا فداء دون الحسين رضى الله عنه! ولو أنهم راعَوْا قداسة الرسول صلى الله عليه وسلم وشرفه لما أقلعوا خيام السيدات الشريفات من آله صلى الله عليه وسلم ! ولو كانوا يعترفون ببيعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما منعوا عنهم الماء! إلا أن الصادقين فى دينهم هم الذين يضحون بأرواحهم ونفوسهم ورؤسهم يا (باهو) فينالون به الخلود ورضوان الله وحبه!!

(٦٨)

وإننى لا أحفل بشئ منذ سقانى مرشدى كأس الحب الربانى! إنك لو سهرت ليلا ولم يزودك مرشدك بالإرشاد والهداية إلى طريق السلوك فما الفائدة فى ذلك!؟ إنك تسهر ليلا فتعبد الله، وأما نهارا فانك تشتغل فى غيبة الناس أى تعبد ليلا وتغتاب نهارا! إن حكومة الدنيا وسلطتها كذب وغرور، وأما السلطة الحقيقية فهى مملكة الفقر الغيور يا (باهو)!

(٦٩)

ومادمت أنت تتكبر، و فى نفسك أنانية، فإنك لن تستطيع أن تنال حب الله و رضوانه عزوجل! إن لباس الفقر لا يليق بك ما دمت حيا، إذن فما الفائدة من ذلك اللباس!؟ قد سميت نفسك فقيرا دون أن تموت حيا و ذلك ما لا يليق بك لأنك لاتستحق لقب الفقير حتى تموت حيا و أن تموت قبل أن تموت يا (باهو)!

(٧٠)

وإننى قد مشيت فى مياه الأنهر ، كما تجولت فى البوادى والصحارى إلا أننى لم أستطع أن أتاكد من أمرواحد! وذلك أننى قد أكملت العديد من دورات الأربعين يوما وقمت مراراً بالحج لبيت الله ، ولكننى لم أستطع أن ألجم نفسى هذه الجامحة الأمارة بالسوء إلجاما! ولكننى قد حققت الأهداف كلها كما تحققت أمانىً كلها حين نظر إلى مرشدى نظرة واحدة يا (باهو).

(٧١)

وإن السالك لا يدرك قرب الذات الإلهية ما دام لئيما فى ذاته أى أن السالك إذا لم يفن ذاته فى ذات الله فأنى له أن ينال قربته! وإذا لم يكن اسم الذات يرافق الأسماء الصفاتية فليس من الممكن أن تنال قرب الحق سبحانه وتعالى! وإذا كان (باهو) فى الباطن وفى الظاهر فمن أين تبحث عنه! وأن الذى يحب الدنيا وزخارفها يا (باهو) فلا يمكن له أن ينال لقب الفقير ومكانته!

(٧٢)

وإن القلب الذى ينوره ويزينه اسم الله عزوجل، يتدفق حبا وعشقا! وأن رائحة المسك لايمكن أن تخفى حتى ولو أخفيت زجاجته تحت الأستار! كما أن الشمس لا يمكن أن تخفى خلف الأصابع، فكذلك لايمكن أن تمنع الأنهار الجارية المتدفقة بالسدود دونها! إننا نحن فيه وهو جل جلاله فينا يا (باهو) وهكذا يكون الأحبة قريبين دائما!

(٧٣)

واطلَعْ أيها البدر ونوِّر العالم!! فإن النجوم تنتظرك!! إنهم يهيمون فى الأزقة يائسين باحثين عنك كما يهيم تجار اللآلى المولعين بها! ولا سمح الله أن يخرج الواحد مسافرا وذلك لأن المسافرين الغرباء بائسون مساكين ماداموا فى سفرهم ولا مكانة لهم وحتى أن أوراق الأشجار الهائمة أكبر منهم قيمة وثمنا ومكانة! ولا تطردونا أيها الناس! بالتصفيق مثل الطيور يا (باهو) فإننا على وشك الطيران التلقائى ولن نمكث هاهنا إلا قليلا!!

(٧٤)

وأطلع أيها البدر!! فإن النجوم فى انتظارك ولا تفتأ تذكرك! إلا أن مئات البدور من أمثالك تطلع كل ليلة ولكننا نعيش فى الظلام دون بدرنا الحبيب! فيا حبذا لو التقينا بحبيبنا الذى من أجله ضيعنا الحياة كلها يا (باهو)! وقلبنا يتوق إلى لقاء الله ويحن إلى حضرته.

(٧٥)

وإن حفظة القرآن يحفظونه ويقرأونه فيغترون بذلك كما أن الشيوخ من رجال الدين يتكبرون بعلمهم! وإنهم يتجولون ويهيمون وقد حملوا كتبهم كما تتجول و تهيم السحب فى فصل الأمطار! إن هؤلاء يكثرون من قراءة القرآن حيث يرون الأطعمة اللذيذة الدسمة! وقد خسر الذين يبيعون كلام الله بثمن قليل ليكتسبوا الرزق به فى الدنيا ولا نصيب لهم فى الآخرة يا (باهو).

(٧٦)

وإن الفِجَّ الخام من الناس أنى لهم أن يعرفوا الفقر وقيمته، ويقدروه حق تقدير إذ أنهم لا يعرفون شيئا عن القلب الناضج المحب لله عزوجل! فقد خلقوا من

الماء والطين، والواقع أن إناء الطين يبقى فِجاً غير ناضج دائما! والذين يتاجرون الزجاج أنى لهم أن يعرفوا قيمة الجواهر!؟ والذين يسارعون فى استقبال الفقراء ويرحبون بهم هم الذين سيذهبون ويخرجون من هذه الدنيا وقد حافظوا على إيمانهم فاستحقوا لقاء الله ورضوانه يا (باهو)!

(٧٧)

وإن القلب أسرع من سيول الأنهار و أعمق من أعماق البحار، فأنى لأحد، غير الله أن يطلع على أسرار القلوب و رموزها؟! فالقلب فيه السفن ، وفيه المعارك، وفيه الأجداف ، وفيه الملاحون، وفيه كل شئ! وحتى أن أربعة عشر طبقا من أطباق السموات والأرضين يسعها القلب وهو محلها! وأما العشق فقد نصب خيمته داخل ذلك القلب الأسرع الأعمق الأوسع! فالذى عرف هذا القلب وفهمه فبامكانه يا (باهو)، أن يعرف رب القلوب الذى يدرك الأبصار ولكنها لا تدركه!!

(٧٨)

والقلب هو أعمق من البحار، فإذا أردت أن تجربه و تسبر غوره، فعليك أن تغوص فى أعماقه! والذى لم يشرب جرعة من نهر المعرفة والوحدة والوجدان فإن روحه سيبقى عطشانا أبدا! والذين يرجون من الذكر والتفكير خيرا، هم دائم الصلة بالله والرجوع إليه! وأن المرأة. يا (باهو)، خير و أفضل من المرشد المكير الغشاش الذى يخدع الناس بلباسه الصوفى وظاهره الطاهر!

(٧٩)

والقلب نهر من أنهر المعرفة والوحدة والوجدان وفيه أمواج سيدنا الخضر عليه السلام، وفيه آلاف من الورطات المتلاطمة! وأن أهل الطرق الصوفية

من السالكين النساك يقفون عليه حائرين مندهشين، و أن حيرتهم و دهشتهم هذه لاحصرلها ولاحساب! إننى غريب عن هذا النهر من المعرفة كما أننى ابتليت بالعشق أى حب الله الطاهر، وبالإضافة إلى ذلك فإننى خام و لا أعرف الطريق ولا خبرة لى به! وقد نسيت اللهو واللعب، يا (باهو)، حين ذقت كأس العشق وعرفت لذتها أى إذا عرف القلب لذة العشق و ذاق حب الله ورضوانه فقد تنازل عن غيرها من اللذات ونسى غيرها من الأشياء كلها!

(٨٠)

وإذا كان القلب قويا باسلا، يتخلص به الإنسان من الحيرة والدهشة! ويجب أن نزكى قلوبنا حتى نتقدم بها من الكثرة نحو الوحدة! إن كمال القلب فى جماله، وجوهره فى جسمه، ومكانته عندالرب الجليل! وأما قبلة القلب، يا(باهو)، فقد استضاءت واستنارت بالخلوة التى حصلت مع الخليل الحبيب جل جلاله!

(٨١)

وإن صاحب الوجه الأسود خير من صاحب القلب الأسود (الباطن الطاهر النقى خير من الظاهر النظيف!) وتلك هى نقطة يجب أن يعرفها ويفهما كل إنسان فهما جيدا! لأن الذى يكون نقى القلب يعرف ربه الحبيب، وإن كان له وجه أسود! وهذا القلب النقى يكافح ويكدح ليعرف ربه فى أمل و رجاء بأن الله سوف يرحمه يوماما! وقد رأينا المئات من العلماء يغادرون المساجد هاربين حين يهدى الله قلوبهم يا (باهو!) أى إذا استقام القلب استقام الأمر!

(٨٢)

وإن الله عزوجل قد كتب درس التوحيد على قلبك أيها الناسك فعليك أن تدرسه وتحافظ عليه دائما! وقد أنفقت عمرى فى الدراسة و أكرهت على أن أتعايش الجهلاء دائما! ويكفيك إذا اكتفيت بدراسة اسم الله طوال حياتك! وإن القلب الذى يُعَمِّره ذكر الله يا (باهو)، يستطيع أن يسخر العالمين لأمره! أى من عرف القلب عرف ربه فأطاع له العالمون جميعا!

(٨٣)

وإن الألم الذى فى قلبى يحرق الداخل، ولو أفضيت بهذا الألم إلى الخارج لجرح قلوب الخلق جميعا! وإن الذين يميلون إلى الدنيا أنى لهم أن يعرفوا حالنا! وإن الوصول إلى الحضرة الإلاهية ليس بسهل يا (باهو) ولكن غرضنا هو اسمك يا الله لا غير! أى كفاك الله ربا وكفى لك اسمه ذكراً!

(٨٤)

وإن الذين يتحملون لوعة الحب الإلهى ويرتفع الدخان من قلوبهم التى تتحرق، حبالله و معرفة به، فلا يقترب أحد منها خوفا من لهيبها! والذى يلم بحرارة هذه النيران، هو الذى يستطيع أن يتمتع بدفئها! وإنه سبحانه وتعالى قد سل سيفه وهو لايزال يرقبنا قائما على رؤسنا، ولا يغمد سيفه إلا إذا رحم العباد! وإن الفتاة لن تبقى فى بيت أبويها يا (باهو) وإنما عليها أن تزف يوما إلى بيت أصهارها (كل ابن أنثى لا محالة ميت وسوف يغادر دنياه إلى آخرته!).

(٨٥)

وإن العشق صقر مقاتل سفاك يشرب دم العشاق المساكين! ولقد استقر فى الصدر كما يتخذ الأسد مكان الجلوس فى أجمته! وإن العشق يقتحم القلب كما يقتحم الفيل الأحمر المسعور المعارك الحربية! وعليك يا (باهو) أن لا تخشى المعركة لأن السوق لاتقوم إلا بالمعارك! أى لابد من مواجهة العشق مهما كان شرساخطيراً!

(٨٦)

وإن الدين والدنيا كأختين شقيقتين، أما يدرك عقلك هذه الحقيقة أيها الزاهد؟! وأن الشريعة كما عرفت، لا تسمح لك أن تجمع فى عقدة نكاحك بين الشقيقتين! أما يا باهو من ادعى الجمع بينهما أى الدنيا والآخرة الضدان المفترقان فلا يمكن له الجمع بينهما!

(٨٧)

وإن الدنيا تستقر إما فى بيت المنافق أو الكافر! وإن الدنيا لها زينة و زخارف وتجميلات كالمرأة التى لها أدوات للزينة والتجمل! إن دنيانا هذه كالبرق الخلاب ، فهى تمر على رؤسنا سريعة خاطفة بارقة! وهى تشبه لبنة الذهب التىوجدت فى عصر سيدنا المسيح عليه السلام يا (باهو) فهى تقتل المسافرين كما قتل المسافرون الثلاثة بعضهم البعض من أجل تلك اللبنة الذهبية الملعونة و قصة لبنة الذهب والمسافرين الثلاثة معروفة وهى مما تحكى عن سيدنا المسيح عليه السلام ومن عاصره من الخلق!!

(٨٨)

وإن الباحثين عن الدنيا كلاب يهيمون على كل باب من أبوابها فى حيرة واضطراب! إن منافستهم على عظم جيفة وقد أنفقوا أعمارهم وهم يتخاصمون عليها فيما بينهم! وإن عقولهم ناقصة لا يدركون بها شيئا ولا يعلمون إنهم يسعون ويبحثون عن الماء وهم يشربونه يا (باهو!) وإذا لم يكن ذكر الله فإن كل شئ باطل وكل حكاية كذب، ليس إلا!

(٨٩)

وكل واحد من الناس يستطيع أن يمخض اللبن والزبادى، وأما العشاق فإنهم يمخضون النار الملتهبة! فيجعلون من أبدانهم جرة ومن قلوبهم آلة المخض، فيمخضون بها وإن سِير الأحزان يتلألأ ويحطون فيه ماء الهموم! والفقراء هم الذين يستخرجون الزبدة من عظامهم يا (باهو!) فإن التصوف طريق صعب وعرمخيف جدا!

(٩٠)

وإن الجبال الحجرية الصماء تخشى و تهاب آهات العشاق المنكوبين من أحباء الله! كما أن الثعابين تخشى و تهاب آهات هؤلاء العشاق المنكوبين فتسرع إلى أجحرها فى الثرى! وتسقط النجوم من السماء عند ما تسمع آهات هؤلاء العشاق من المتصوفين المصابين! وأما الذين لا يخافون ولا يهابون آهات العشاق المصابين من أولياء الله وأحبائه فهم هؤلاء العشاق أنفسهم يا (باهو!!)

(٩١)

وخلِّ الحيرة والقلق الذى يوذى ويخز فى قلبك، وكن على وعى وحذر أيها الطالب السالك! أما ترى الطيور تطير فى الهواء وليس لديها شئ من الزاد! إنها تطير طلباً للرزق يوميا دون أن تحمل منه شيئا معها! إن ربك جل جلاله (ياباهو) هو الذى يرزق الدودة التى تعيش فى صخرة صماء فلا تموت جوعا!!

(٩٢)

ويبدو كأن قلبك سوق و بابها الفم، والصدر مدينة! والروح تاجر، والنفس قاطع الطريق ، لأنها تقطع عليك طريق الحق! فما دمت لا تقتل نفسك هذه الأمارة بالسوء فإنها سوف تظل تخطف منك الحياة! إن هذه النفس الأمارة بالسوء يا (باهو) لا تزال تحاول جاهدة أن تغلق على الروح أبواب البرو التقى!

(٩٣)

وإذا لم تنضم ذات إلى ذات فهى تعتبر ذاتا دنيئة مهينة! فعليك أن تعذب نفسك الكلب الحقير بالمشقة والعناء حتى تجعل منها لحما مفرورما يباع فى حانوت الجزار! وذلك لأنك إذا اشتغلت برغائب النفس فالناس يطعنون فى ذاتك أوصفاتك (أى اترك الأثرة واختر الإيثار)! والفقير المتصوف يا (باهو) من اكتسب الخلود بعد الممات فى قبره (يعنى من تمكن من إرضاء الخالق و الإجابة على أسئلة الملك دخل جنة الفردوس وذكره الناس بالخير!!)

(٩٤)

ولا فائدة فى الذكر والتفكير حتى تفدى بنفسك فى الله و تفنى فى حبه! وهذا الفداء و الفناء يتحقق لمن يصل إلى درجة تسمى لامكاناً! وقد تحقق الفداء والفناء لمن ذاق سهم العشق! يا (باهو) يحرقنى ذكرالله جل جلاله دائما، لأننى لم أتمكن من وصاله أى الوصول إلى جواره جل وعلا!

(٩٥)

وعليك بالفكر بدل الذكر، لأن كلمة الفكر أحدُّ وأشد من شفرة السيف! فإنك ترى العشاق من أولياء الله وأحبائه يتأوهون ويحرقون أنفسهم وقلوبهم إذ يفكرون فى إسرار خلقه جل وعلا! فالذاكرون هم الذين يفكرون تفكيراً ولا يغفلون عن حبيبهم الجليل طرفة عين! والذى هو جريح الفكر لا يستريح و لا يعيش هادئا لأن الفكر يقلع الجذوع من أصولها!! وقُلْ كلمة الصدق والحق يا (باهو) وهى: الله يحفظنا من ضربة الفكر القاضية أى التفكير فى آيات الله أصعب وأشد من ذكره سبحانه وتعالى!!

(٩٦)

وإن طريق الفقر بعيد بعيد جدا، ولا يبدو نهايته! فليس هناك قراءة ولا دراسة حيث لا توجد المسائل ولا القصص! إن دنيانا هذه دنيا الوثنية فلا يجوز لأحد أن يثق بها! ولا يدرك أحد حقيقة الموت والفقر إلا من جربهما ومربهما يا (باهو) فهو حينئذ يصير صاحب العلم و الخبر ، ولا ينبئك مثل خبير!!

(٩٧)

وإن الطالب الصادق فى حب الله لايستطيع أن ينام ليلا كما أنه يبقى حائراً مندهشا نهارا! ولا يفهم العارفَ السالك إلا العارفُ السالك، وأنّى لعبد النفس أن يعرفه! و اعبد ربك لكى لاتندم فيما بعد، فتقول قد ضيعت عمرى وشبابى! وأن حق الحضرة قد تحقق لمن لاقى الشريف الجيلانى، رحمه الله ، يا (باهو) أى من لاقى الشيخ الشريف عبدالقادر الجيلانى البغدادى رحمه الله فقد صار من الحضوريين فى جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم !

(٩٨)

وإن عيونى لتسكب دموعا من الدم ليلا ، وأما نهارا فإن وخزة الغم و وطأته لاتزال تقلق الطالب السالك! وإن العشق قد دخل فى الجسم بعد أن قرأ كلمة التوحيد فلا قرار له ولا نوم منذ ذلك الحين ! و إنهم قد علقوا رأسه على الصليب، وذلك هو سر العشق والعاشقين! وإذا استسلمت للسكين يا (باهو) فلا خوف عليك ولا حزن من الذبح فى سبيل الحق!

(٩٩)

والعاشق الصادق يضئ المصباح فى ليلة مظلمة حالكة! كما أنه يطأطئ الرأس لمن يحنو إليه ويحبه ، وإن كان لا يرفع صوته فى ذلك الوقت! إن طريق العشق طريق وعرمهيب، فقد ملئ بالبوادى الغناءة والأجمات الخطيرة حيث يستولى ويسيطر خوف الأسود الضارية دائما! ولكن الذين اكتملوا فى عشقهم يا (باهو) فقد راحوا يعبرون و يجتازون هذه الصحارى والبحار والبوادى التى تعرض لهم فى طريقهم!

(١٠٠)

وإن رحمة الله تنزل فى البيوت التى تضئ فيها المصابيح وتنورها دائما! وإن العشق طيار قد طار فى السماء فأنى لنا أن نرسى السفينة الآن؟ و من أين نجريها؟ يجب علينا أن نغرق سفينة العقل والفكر فى الوهلة الأولى! وإن الحبيب يبدولنا يا (باهو) ونراه حيثما نظرنا وأينما رأينا!

(١٠١)

والصوم والصلوات والتقوى أعمال مدهشة! ولكن هذه الأشياء فى ذاتها لا توصِّلك إلى الله كما قرأت وعلمت أنت! والذى يحسدك ويغيظك دائما فلا تعتبرْ ذلك الإنسان صديقا و حبيبا! وسوف يَتَحَرَّرُ(باهو) من الأوراد والأذكار يوم يصح فانيا بعد الموت اى الفرض والواجب فى ذمة الإنسان مادام حيا وبالموت يسقط كل شئ!

(١٠٢)

وكل واحد من الناس يقرأ كلمة الشهادة بلسانه، وأما بالقلب فلا يقر بها ولا يقرأها إلا القليلون منهم! وحيث قرأت الكلمة بالقلب فلا داعى إلى الإقرار باللسان! والذين يقرأونها بقلوبهم هم العشاق الصادقون إلا أن المرشدين لا يعرفون هذه الحقيقة! وأما أنا يا (باهو) فقد لقننى مرشدى هذه الكلمة ومنذ ذلك الوقت قد سعدت بها واشتغلت بذكر الله عزوجل!

(١٠٣)

وقد تعب الزهاد فى زهدهم وصومهم و صلواتهم الفريضة منها والنافلة! فأما العشاق فقد غرقوا وانغمسوا فى بحر من الوحدة، ولهم الحب والأسرار مع الله تعالى! وأن النحلة التى قد حبست فى شهدها، أنى لها أن تطير مع

الصقور! فالذين لهم شرف الحضور عندالنبى صلى الله عليه وسلم يـا (بـاهو، هم أصحاب الأسرار والتواضع ولهم الفضائل والمناقب !

(١٠٤)

وقد أتعب الناس أنفسم بالكثير من الصوم والصلوات والسجود! كمـا أنهـم يحجـون مئـات المـرات لبيـت الله الحـرام بمكـة المكرمـة، إلا أن سـعى القلـب للتسلية والعزاء لاتكاد تنتهى! وإنهم قد قضوا أربعين يوما عابدين صائمين إلا أنهـم مـا اسـتطاعوا أن يثبتـوا فـى طريـق الحـب الصـادق! وتتحقـق الأمـانى والأهداف كلها يا(باهو) عندما ينظر إليك مرشدك نظرة واحدة من الشـفقة والحنان والحب والعرفان!!

(١٠٥)

ولا يدرس أحد درس الصفات العارضة إلا الذين هم أحقر الذوات وأراذلها! وقد تعلم العلم الحقيقى الذين هم من أصل قوى ثابت! وهم الذين قـد ذبحـوا نفوسـهم بسـكين مـن القضـاء والقـدر! وأمـا الذيـن نـالوا حظـا سـعيدا خاصا(ياباهو) فهم الذين عـثروا علـى مـاء الحيـاة مـن حـب الله جـل جلالـه فأصبحوا به خالدين!

(١٠٦)

وإن بدنى كلـه قـد احـترق واصبـح مسـتقرا للهمـوم والأحـزان! إننـى أهيـم وأستصرخ مثل الكوئل لعل الله المولى عزوجـل ينـزل علـىَّ المطرمـن رحمتـه! وعليك أن تصيح أيها الوقواق فقد جاء فصـل الأمطـار مـن طاعـة الله وحبـه لكى لا تضيع أيامنا المرحـة الفرحـة! وتقـدم أنـت بخطـوات راسـخة ثابتـة يـا

(باهو!) لأن الله عزوجل يمهد طريق اللقاء بين الذين يحنون إليه وبين أصدقائهم الأحباء المجاهدين فى حب الله وطاعته!

(١٠٧)

واسمع إستغاثتى يا مرشد المرشدين (يعنى به عبدالقادر الجيلانى البغدادى) ، واستمع إلى طلبى بالإصغاء إلىّ! فقد تورّطت سفينتى فى الورطة الهائلة التى تخافها التماسيح فلا تجترئ على أن تقتحمها! أيها الشريف الجيلانى والحبيب السبحانى! أرجوك أن تنقذنى بأسرع ما يمكن! ولا شك يا (باهو!) يعبر البحر ويصل إلى الساحل من له مرشد مثل مرشد المرشدين البغدادى!

(١٠٨)

ويا مرشد المرشدين! اسمع استغاثتى فمن لى غيرك يستمع إلىّ؟! أما أنت فلن أجد أحدا غيرك الذى يحل محلك فى نفسى وقلبى! وأما أنا فلست بشئ ، وستجد مئات الألوف من أمثالى! وأرجوك أن لا تراجع الأوراق التى فيها ذنوبى، ولا تطردنى من بابك ياسيدى! ولولا ذنوبى هذه التى اقترفتها، لما وجدت، مُذنباً أحداً غيرى لكى تعفوعنه!

(١٠٩)

وأنا أفدى مئة ألف مرة لمن لا يقول قولا تافها لاطعم له ولالون! وأنا أفدى ألف مليون مرة لمن يقول قولا واحدا سديدا لا تغيير فيه ولا فسخ! وأفدى مليون ألف مرة لمن يتواضع لله دائما! وأنا أفدى بنفسى مليون مليارات مرة يا (باهو)لمن يكون ذهبا ولكنه يعتبر نفسه بأنه من النحاس وذلك تواضعاً و استسلاما لأمر الله وطاعة لشريعته ودون الاغترار بعمله!

(١١٠)

ومن الذى له مكان فى صدورنا ويعيش فى قلوبنا؟ وذلك ما أخبرنى به وشرح لى مرشدى الكامل ! إن الانسان إنما هو النفس التى تتردد فى جسمه فتذهب وتجئ! وهو ما يسمونه الإسم الأعظم، أو ما يقال له السر الإلهى إذ الروح أمر من أوامر الله وسر من أسراره! وذلك هو الموت والحياة يا (باهو) وهو ما يسمونه سرا من أسرار الله فى خلقه المتنوع وكونه الواسع!

(١١١)

مدينة شوركوت (حيث مدفن الشاعر المتصوف) هى مدينة مباركة حيث يسكن فيها (باهو!) ذلك الذى يربى السالكين دائما كما يصلح البستانى الأشجار ويربيها! وهو من هؤلاء المربين المعلمين الذين يربون المريدين بنظرة الرحمة ويريهم طريق الحضور إلى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم! ويا (باهو!) الفقير من يجعلك تشاهد الحبيب فى بيتك شاهد عيان!

(١١٢)

وإن الشريعة الغراء لها أبواب عالية، وأما طريق الفقر فهو ثقبها الصغير! وإن العلماء الأفاضل لايسمحون لأحد أن يدخل من ذلك الثقب الصغير فلا يدخلها أحد إلا سرا وخفية ! وإن العشاق هم الذين يعرفون سر الحبيب جل وعلا وأنى لرعاة الحمير أن يعرفوه سبحانه وتعالى!

(١١٣)

وإن الذين قد وصلوا إلى حضرة الذات الإلهية لايقرأون الحمد والثناء! كما أن الذين قد رزقوا بالفطرة الأصيلة الأزلية و آمنوا باثبات الذات الربانية هم الذين تشرفوا بالعلم والعمل به! فمنهم من ضحوا بنفوسهم بكل حب ورضا

فذُبحوا فى سبيل الله بسكين الرضا والحب! وقلبك يحيط بأربعة عشر طبقا يا باهو فعليك أن تطل فى داخلك حيث تجد ربك فى قلبك فهو أقرب إليك من حبل الوريد!!

(١١٤)

وأما صورة النفس الأمارة بالسوء فهى أنه كلب أسود شرس وإن ذلك الكلب الأسود يصرخ ويعوى ويشرب الدم ويطلب لقمة دسمة سائغة! وهو جالس فى الجانب الأيسر من القلب بكل أمن وسلام! إن هذا الكلب الشرس الشقى ضار و ظالم للغاية (يا باهو) وقانا الله من شره وشرهه و شراسته!

(١١٥)

ويجب أن نغلب على النفس الكلب الأمارة بالسوء! وذلك بأن نجعل منها لحما مفروما فنمزقها تمزيقا! وذلك يمكن لنا بأن نذكر الله بكل حب وإخلاص دائما و فى كل حين وآن! ونتوصل إلى الرب عز اسمه بالذكر، ونستطيع أن ننظر إلى ذاته عزوجل! وأنا أفدى بنفس (يا باهو) لمن يوفق فى الوصول إلى حضرة الذات الربانية حيث لامكان ولا زمان هناك!!

(١١٦)

وأنا أدعو و أتمنى على الله أن لا يقل طلاب الغوث الأعظم (الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، رحمه الله) أبدا! فالذين فى قلوبهم العشق، ولو كان قليلا ، فإنهم لايزالون يبكون وينتحبون دائما! والذين يرغبون فى لقاء الله

وحضرته، يحضرون عنده كل يوم بالسرور والأفراح! والذين يكتسبون اسم الله الذاتى بذكره يا (باهو) لهم حظ سعيد و نصيب أوفر فى الكونين!

(١١٧)

وكن طالبا ثم اطلبه و يجب أن تستمر تغنى بطلبك هذا دائما! وخذ بيد المرشد الهادى بكل قوة وإخلاص حتى تكون أنت هو نفسه! وتكتسب ذكر الكلمة الطيبة حتى تطهر بها نفسك و جسمك!! فلو اكتسبت أنت يا (باهو) الاسم الذاتى لله عزوجل، فإن الله سوف يطهرك (أى ذكر اسم الله الذاتى سوف يطهرك من الأدناس كُلّها!)

(١١٨)

وإننى أرى الله الحبيب جل شانه فى الظاهر كما أننى انظر إليه فى باطنى وصدرى! وأنا أكابد الفراق، وأهيم على وجهى ، والناس كالعميان ينظرون إلى ويضحكون منى! وقد وجدت حبيبى فى داخل قلبى، والناس يذهبون باحثين عنه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة! ويقول (باهو) الذى هو فقير قد بايع شريف الأشراف الغوث الأعظم وإن القلوب كلها من خزائن الله!

(١١٩)

ومن أراد أن يكتسب الفقر دون العلم ، فسوف يموت مجنونا كافراً! ويبقى بعيدا أجنبيا غريبا فى جناب الله ولو عبده مئات السنين! ولا يمكن أن تُرفع أستار الغفلة و حجبها عن قلبه الذى سيبقى معبداً لأصنام الجهل! وأنا أفدى بنفسى (ياباهو) لمن وجد الحبيب الوحيد جل جلاله الذى لانظير له ولا مثال ولا شريك!

(١٢٠)

ولا مجال للعقل والفكر أن يدرك سر الوحدة من أسرار الله سبحانه وتعالى! فلا مجال هناك للملا أو الباندیت أو الكاهن كما أنه لا ينفع علم التفسير القرآني للاطلاع على السر الأكبر! وإن العارفين بوحدة الله هم الذين قد اكتسبوا العلم كله دون أن يقرأوا الكتب السماوية (يا باهو!).

(١٢١)

وإن العشق المؤذن حين قام يؤذن، بلغ صوته إلى آذاننا! فاستخرجنا دم الكبد بكل جهد فتوضأنا به وضوءا صافيا! فقد سمعنا صوت التكبيرة التي تعلن بالفناء في الله ثم استحال لنا الرجوع من ذلك الطريق! فكبرنا تكبيرة حتى يتحقق لنا الوصال بالله عزوجل، وحينئذ شكرنا الله عزوجل شكرا عميقا واسعا!

(١٢٢)

وإن العشاق يصلون صلاتهم، صلاة الحب والحنين إلى ربهم، والتي ليس فيها حروف ولا كلمات! إنها صلاة لا يستطيع أن يصليها كل من هب ودب بل هي صلاة تليق بالعشاق المحبين المتعاطفين! وذلك لأن وضوءهم يكون من دموع العيون ودم الأكباد! ذلك الوضوء النقي المطهر الذي لا يترك شائبة القذارة والوسخ والنجاسة!(ياباهو!) إنها صلاة لا يتحرك فيها اللسان ولا تنبجس بها الشفاه وإنما هي صلاة تخص عباد الله الصالحين الأبرار!

(١٢٣)

وإذا كنت عاشقا فعليك أن تكتسب العشق وتوقره توقيرا، وذلك إذا كان لك قلب قوي صامد يشبه الجبال الصم! وسوف تواجهك مئات الألوف من إساءة الناس إليك وعدائهم لك، والآلاف المؤلفة من سهام الطعن والتشنيع

من قبلهم فيجب أن تعتبر كل ذلك كأنه نسمات الهواء من ربيع الحدائق! فإنك قد عرفت موقف المنصور الحلاج الذى كان مطلعا على أسرار الألوهية وقد علقوه على الصليبّ فلا ترفعنَّ رأسك وأنت ساجد (يا باهو) حتى ولو منعك الكفار ألف مرة عن ذلك السجود!

(١٢٤)

وإن قلوب العشاق لا تخلو أبدا من ذكر الله وسره! فقد حُرم النوم على الذين يذكرون ربهم بذكر اسمه الذاتى، وهو، الله ، إنهم لايستريحون ليل نهار ولا يزالون يبكون و ينتحبون دائما! وإن الذين قد اختاروا بكل ضبط وصحة اسم الله الذاتى (ياباهو) إنهم لسعداء الحظ دون شك!

(١٢٥)

وسوف ترى العشاق الزهاد دائما يمشون فرحين سكارى من حب الله الحبيب و عشقه! و الذين أهدوا أنفسهم إلى ربهم الحبيب وهم أحياء ، قدنالوا الخلود فى الدارين! والذين قد ضاءت مصابيح قلوبهم وشموعها، لا يحتاجون إلى إضاءة السروج أو المصابيح إن عالم المعرفة (يا باهو) لايمكن إدراكه بالعقل والفكر، وإنما يجب أن يُقضى ، قبل كل شئ ، على العقل العاجز والفهم الناقص لكى نصل إلى عالم المعرفة!

(١٢٦)

وقلوب العاشقين شموع، فتراها تستعجل إلى من تحبه بسرعة وانجذاب ! وإن القلب ينظر إلى الأطعمة ويراها بصفة مستمرة ، فسرعته هى سرعة الصقور! ولكن أنى لهذا القلب الصقر أن يطير وقد شدوا الدوالى إلى رجليه! إلا أن

القلب الذى لايشترى العشق (ياباهو) فسوف يغادر هذه الدنيا وهو خال محروم فى الدارين!!

(١٢٧)

وإن العشاق قد توضأوا مرة واحدة، وهذا الوضوء دائم وسوف يستمر إلى يوم القيامة ! ومن ثم هم يشتغلون بصلواتهم راكعين ساجدين فى روحاتهم وغدواتهم! ولأولياء الله و فقرائه أماكن ومقرات هنا وهناك فى الدارين من الدنيا والآخرة! ولكن لهؤلاء القوم (يا باهو)! مجالات حيث يمر فيها كل واحد منهم وحيدا أبعد من العرش بمئات المنازل!

(١٢٨)

وإن لعبة العشق قد لعبها الكل من الملوك والسلاطين و الشحاذين فى كل مكان وزمان! إلا أن العشق يدهش الكل من العلماء الأفاضل والحكماء العقلاء دون استثناء! وإن حضرة العشق قد نصب خيمته داخل القلب حيث بنى له مستقرا خاصا فى الخلوة والوحدة! وإن العشق لا يفرق بين الغنى والفقير بل يعترف بالجميع منهم يا (باهو)، ولكن الغافلين من الناس لا يعرفون شيئا من ذلك ولا يعترفون به!

(١٢٩)

وعلينا أن نسبح سباحة الرجال الأبطال فى نهر العشق والحب! فإذا رأينا أن الأمواج المتلاطمة فيه أكثر هياجا وغضبا ، فيجب أن نقتحمها اقتحاما! حتى ولو كانت الأشجار ملتفة فى البوادى والأجمات المخيفة المرعبة ولا نخافها عندما نراها! وإسم الفقير (يا باهو) لايطبق إلا على من مات فى طلب الحبيب والبحث عنه فالفقر إنما هو طلب الحق سبحانه وتعالى!

(١٣٠)

وإن العشق قد ظن بأننى ضعيف واهن نحيل فأمسك عتبة بابى فدخل البيت فنزل علىَّ ضيفا وإنه الآن لا يستريح ولا يسمح لنا أن نستريح ، ففعله الآن فعل الطفل المستعصى العنيد! إنه يطلب الشمام فى أشهر الشتاء فمن أين آتى بالشمام فى مثل هذا الفصل من الشتاء! وقد نسيت حكايات العقل والفكر يا (باهو) حيث صفق العشق تصفيقا و أراد أن يلفت نظرى إليه ويسيطر علىَّ فرحا مرحا!!

(١٣١)

وإن الذين قد تسرب العشق فى أجسادهم يبقون دائم الصمت والسكوت! ورغم أن لهم مئة ألف لسان فى كل شعرة من شعرهم إلا أنهم يهيمون كأنهم صم وبكم ولالسان فى أفواههم! وإنهم يتوضأون بالإسم الأعظم و يغتسلون فى نهر الوحدة أى لا شغل لهم غير ذكر الله عزوجل صباح مساء! ولن تقبل الصلوات من أحد يا (باهو) إلا إذا عرف الأصدقاء حقوق أصدقائهم!

(١٣٢)

والعشق بحر قد صعد إلى السماء ، ولا ندرى إلى أين نوجه سفينتنا!؟ أفلا يجب علينا أن نغرق سفينة العقل والفكر فى الوهلة الأولى! وتزأر الورطات زيئر الأسود وتطغى الأمواج حين نقتحم فى نهر الوحدة! وإن الموت الذى يخافه الخلق يا (باهو) إذا رزق العاشق بذلك الموت فقد فاز بالحياة الخالدة!!

(١٣٣)

وإن لهيب نار العشق إنما هو وقود العظام المحرق لها، ولكن العشاق يجلسون حول تلك النار فيستدفأون بها أى يتحملون لهيب حب الله عزوجل! إنهم يشقُّون أرواحهم وأكبادهم بالمنشار ثم يصنعون منها الكوفتة أى يتعذبون فى

طلبه سبحانه وتعالى بكل رغبة وسرور! وتراهم يهيمون حائرين دائما ويشربون دماء أكبادهم! ولكنك يا (باهو) ترى الآلاف المؤلفة من العشاق إلا أن العشق حظ القليلين منهم! (حب الله شديد ولكن القليل من السالكين الذين يتحملون شدة حبه عزوجل).

(١٣٤)

وإن عشق الحبيب سبحانه وتعالى قد أوقد النيران فى الداخل فمن الذى يستطيع أن يطفئ هذه النيران الملتهبة فى داخل القلوب؟ إننى لا أعرف أصل العشق ماهو؟ ولكننى أراه يكره العشاق على أن يتواضعوا لكل الناس! وهو غريب جدا لأن العشق لا ينام ولا يخلى أحدا يستريح بل هو يزعج النائمين فيوقظهم من نومهم الحلو المريح ! إلا أننى أنا يا (باهو!) أفدى بنفسى لمن يقرب بين هؤلاء الأصدقاء ويجمع بينهم!

(١٣٥)

والعشق شئونه غريبة ، فهو الذى يحاول جاهدا أن يبعد عن الشرع حينا و يحاول أن يقرب منه حينا آخر! وأنه إذا لطم العشق العشاق لطمة أى استولى على أحد منهم فإن الأقضية نفسها تنتهى، فضلا أن تتحدث عن القضاة ويحفل بما يقضون فيه أى أن القضاة و أقضيتهم لا يغتر العشق بشئ منها ولا يحفل! والناس، كأنهم أطفال ، لايفهمون شيئا فينصحون العشاق الذين لا يحبون النصائح أبدا! ومن المستحيل يا (باهو) أن يتراجع من دعاه مولاه عزوجل فاكرمه بحبه وغرامه!!

(١٣٦)

وإن العشق المسكين قد فَقدَ قلبه ثم فقد نفسه أيضا! إنه قد فقد وضاع فلم يعد إلى ما كان عليه من الأحوال وإنما انضم إلى الأحباء! وقد نسينا ما يتعلق بالعقل أو الفكر كله إذ تم انضمامنا إلى العشق! وأنا أفدى بنفسي يا (باهو) لمن نال عشقه القمة من الشباب أى اكتمل وبلغ نهايته المنشودة!

(١٣٧)

وإن العشق العنيد قد ظنّنا ضعفاء قوة و نحيلين جسما ومن ثم أخذ يهاجمنا كرة بعد كرة وإنني أرى العشق في كل مكان حتى أنني لا أرى مكانا في الكون خاليا من العشق! وقد عثرنا على مرشد كامل، وقد فتح رتاج القلب وأزاح عنا الحجب كلها! وأنا أفدى بنفسي يا (باهو) لذلك المرشد الكامل الذى أطلعني على السر الإلهى الخالد!

(١٣٨)

وإن العشق العنيد قد ظن بأننا ضعفاء فاقتحم علينا الدار فجلس بين أيدينا مستريحا آمنا! وقد اجترأ فحفر نقبا في الكبد وكان ذلك عملا جريئا وغريبا جدا! وقد أطللتُ داخل نفسي فوجدت الله قد ملأ قلبي! ولا يمكن أن أقتنع يا (باهو) دون أن أعثر على مرشد كامل يقودني إلى الله ويهديني الطريق إليه!

(١٣٩)

وإن العشاق المحبين، من أحباء الله عزوجل و أوليائه، لو وافقوا بالمشورة الصالحة وقبلوا النصح لما خربوا بيوتهم! إن ذكر الله قد أنساهم أنفسهم مع الدنيا وما فيها كأن عقلهم وصبرهم قد سلب منهم! إننى أفدى بنفسى يا (باهو) لمن تنازل عن دمه وعفا عن حبيبه الذى احتل قلبه فعمره بحبه و بركته!

(١٤٠)

وإن الأغواث والأقطاب من أولياء الله وأحبائه يبقون فى مكان دون الأماكن التى لا يصل إليها إلا العشاق المتهورون! وذلك لأن العشاق المتهورين يصلون إلى مكان لا يستطيع الأغواث أو الأقطاب أن يقتحموها أو يزوروها! فالعشاق الباسلون يعيشون فى وصال دائم لأن قرارهم حيث لامكان هناك!! وأنا أفدى بنفسى يا (باهو) لمن يجاورون ذات الله تعالى فيعيشون فى حضرته صباح مساء دائما!

(١٤١)

وإن هؤلاء الزهاد الجهلاء يأتون مبكرين كل صباح ويقومون بأعمالهم من العبادة والذكر! إلا أن أعمالهم هذه تمثل صراخ الغربان والنسور المتشابهة الأصوات ، والتى تنضم إليها القنبرة هى الثالثة! إنهم يصيحون ويصرخون ويبذلون الجهد الذى يشبه جهد الطيور المذكورة التى تصيح وهى تخرب حقول العنب! وقد أنفقوا أعمارهم فى هذا السفر الطويل من الجهد الصوفى

يا (باهو) ولكن دون جدوى من ورائه و دون أن يحصلوا على شئ طوال حياتهم المتعبة المكدودة!

(١٤٢)

وماذا سيحدث لو تحرك قلبك أو ذكرت الله على لسانك!؟ و ذكر القلب أو الروح أو الذكر الخفى أو الذكر السرى كل ذلك من طرق الحيرة والدهشة! وإنه سبحانه وتعالى أقرب إلى عبده من حبل الوريد إلا أنه لم يجد فيهم من يكون له حبيبا مخلصا! والفقير هو الذى يستقر ويبقى حيث لامكان من اللاهوت يا (باهو!)

(١٤٣)

وكل الخلق يغنى بلحن واحد من أجل الحصول على جواهر بحر المعرفة! فستة جواهر منها توجد على الأرض، وستة منها فى السماء وأما الستة الباقية من تلك الجواهر فهى تسبح فوق المياه (يسبح له كل شئ فى البحر والبر والسماء)! والحروف الستة فى ثمانى عشرة كلمة كل كلمة لها معنيان! وقد علمنى مرشدى الهادى صلى الله عليه وسلم يا (باهو) الحرف الأول من السطر وهو ألف الله أى درس التوحيد الخالص ولبه هو الله!

(١٤٤)

وقد عرفنا سرَّ الكلمة حين فتحت وأوضحت علينا الكلمة سرَّها! والعشاق يقرأون الكلمة أى يذكرون الله حيث يعم ويسود نور النبى صلى الله عليه وسلم! وأربعة عشر طبقا كلها فى داخل هذه الكلمة المباركة الطيبة ولكن الناس غافلون عنها ولا يعرفونها!! وقد لقننا مرشدنا هذه الكلمة يا (باهو) فنحن نفديه صلى الله عليه وسلم بأرواحنا و نفوسنا!

(١٤٥)

وقد عرفنا سر الكلمة الطيبة المباركة حين أخذت هذه الكلمة بمجامع قلوبنا! وأما المغفلون الغافلون فلا يعرفون شيئا من أسرارها بينما أهل العلم والتعاطف من الزهاد السالكين قد جعلوا عنها رقية فى أعناقهم أى أصبحت الكلمة من أذكارهم الدائمة وتغذيتهم الروحية وهم العاملون بفحواها! وقد عرفنا سر الإسلام و الكفر يوم سارعت الكلمة إلى أكبادنا فاقتحمتها واستقرت فيها! وأنا أفدى بنفسى يا (باهو) لمن قرأ هذه الكلمة قراءة صحيحة سليمة فعمل بفحواها!

(١٤٦)

وقد عرفنا أسرار الكلمة ومدلولاتها وما تتضمنها يوم أخبرنا المرشد بالكلمة و أسرارها ورموزها ومدلولاتها! وقد أنفقنا الحياة كلها فى حالة الكلمة التى تعلمناها من مرشدنا أى بيعة المرشد و تلقين الكلمة من قبله ضرورى! وإن هذه الكلمة الطيبة قد مزقت الكفر تمزيقا وقطعته تقطيعا كما كان سيدنا على الأسد الشجاع رضى الله عنه يقطع أعناق أعداء الله من الكفار! وأن القلب يتطهر وتتجلى يا (باهو) حين تتسرَّب الكلمة فى كل عرق من عروقنا وفى كل شعرة من شعرنا (كلمة التوحيد لها أثرها فى النفوس، ونتائجها وثمارها ظاهرة ثابتة فى الحياة العملية للمؤمنين بها).

(١٤٧)

وإن هذه الكلمة قد أنقذت الآلاف المؤلفة من المغرقين كما أنها جعلت من مئاتهم أولياء الله! والكلمة قد بردت نيران الجحيم حيث تلتهب نيرانها الملتهبة الهائلة! وهذه الكلمة هى التى سوف تذهب بنا إلى جنة الفردوس

حيث لا تنقطع النعم صباح مساءٍ! فلا نغمة فى الكونين أفضل من هذه الكلمة الطيبة المباركة يا (باهو) أى عقيدة التوحيد تغير الإنسان تغييرا أساسيا كما أن لها عواقب وثمرات تنفع المؤمنين الموحدين فى الدارين!

(١٤٨)

وإن الكلمة الطيبة قد نفعتنى كثيرا كثيراً فبها كانت نظافتى بالاستحمام وغسل الثياب، وبها كان زواجى ، وهذه الكلمة هى التى صليت بها علىَّ صلاة الجنازة وهى التى زُيِّنَتْ قبرى، وبها دخلت جنة الفردوس وهى التى سوف تنظفنى من الأدناس كلها! ومن المستحيل يا (باهو) أن يعود خائبا من حضرة الله من دعى إليها! ويريد أن يقول بأن كلمة الشهادة التى يشهدبها الإنسان على التوحيد والرسالة تنجى المؤمن فيستحق بها أن يلجأ إلى حضرة الله عزوجل و بجواره!

(١٤٩)

وإن الله عزوجل يوم خلق الأرواح كلها بأمره "كن فيكون"، فقدكنا نحن موجودين فى ذلك اليوم فى الأزل! وكان ربنا سبحانه وتعالى موجودا بذاته وصفاته، وهو وحده الذى نبحث عنه فى دنيانا هذه (كان الله ولم يكن شئ غيره وسيكون هو ولن يكون شئ غيره فهو وحده الموجود!) ولقد كنا فى مكان يسمى لامكاناً ، وأما الآن فقد ابتلينا بدنيانا هذه المليئة بزخارف الأصنام و مكاره الآلام! إن النفس الأمارة بالسوء هى التى ارتكبت الأعمال القذرة النجسة يا(باهو) وإلا فإننا لم نكن نجسين قذرين أبدا!

(١٥٠)

وعليك يا قلبى أن تستغيث صارخا لعل ربك يغيثك لأنه يسمع المتألمين المتأوهين ويستجيب الداعين المستغيثين وإن صدرى قد ملأته الآلام ، و فى داخل نفسى تلتهب النيران! وإن المشاعل لا تتقد دون الزيوت كما أن الصرخات لا تكون دون الآلام! والذين تصادقوا مع النيران وتآخوابها فأنى لهم أن لا تتحرقوا يا (باهو!؟) وكيف يمكن أن يأمن جار النار من الحريق!؟

(١٥١)

ويجب أن يكون المرشد كاملا يتمكن من تنظيف النفوس القذرة بقوته الروحية كما ينظف الغسال الثياب الوسخة بعنف وقدرة! ذلك المرشد الذى يطهر القلوب بنظرة واحدة دون الصوديوم أو الصابون! والذى ينظف الوسخ فيجعل منه أبيض ناصعا ولايترك عليه شيئا من الوسخ والقذارة! ويجب أن يكون المرشد محببا إليك يا (باهو)كأنه يسكن فى كل شعرة من شعرات بدنك!

(١٥٢)

واعبد ربك كثيرا أيها الزاهد! لكى لاتندم فيما بعد، لأن حياتك قصيرة جدا فهى أربعة أيام من الأسبوع، يومٌ لمولدك، ويوم لزواجك، ويوم ثالث لموتك، والأيام الأربعة الباقية هى حياتك العملية من سبعة أيام فى الأسبوع! وكن تاجرا واشتر الأمتعة قبل أن يغلق دكان الدنيا، وتنتهى نقود حياتك! ولا تكن آمنا بأن قلبك لا يصدق الموت فالموت له جولة مفاجئة وهجوم طارئ دائما! قد ركب معنا فى سفينة حياتنا يا(باهو) دفعة مختلطة مكونة من اللصوص والأبرياء ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يوصلنا إلى شاطئ الحياة من النجاة سالمين آمينن!

(١٥٣)

والدنيا أقذار، وظلمات حالكة، وضباب كثيف ، وطرقها مليئة بالخوف والأخطار! كما توجد فيها الألوف من مياه الحياة والزلال والينابيع المتدفقة المتلألئة، وفوقها ظلال من الشعر الفائح مثل العنبر! والعشاق الصادقون يبحثون عنها كما بحث عنها الاسكندر اليوناني، ولا يستريحون طرفة عين! فأما الذين حظوظهم مثل نصيب الخضر عليه السلام يا (باهو) فهم الذين يصلون إليها فيغترفون منها جرعة من حظهم فيوفقون فى تحقيق ما يريدون تحقيقه وينالون ما يهدفون إليه!

(١٥٤)

إن الأسرار من قدرة الله التى لا تزال تحت ظلال كثيفة غليظة وغامضة ولا يعرف حقيقتها وأصلها وكنهها أحد من البشر! وأما نحن فلعلنا قد أكلنا حبوب القمح الكثيرة فى الأزل، ومنذ ذلك الوقت لايزال حبل مشدود من المسؤلية فى أعناقنا! وأنا أتقلب فى أشد اضطراب كأننى عندليب الحديقة قد حبس فى قفس من المسؤلية! ولكن يجب عليك يا (باهو) أن تبعد كل شئ من قلبك ماسوى الله وترجو من الله فضله الكبير فهو الرؤف الرحيم والغفور الكريم!

(١٥٥)

والذين ملأوا خرقتهم بالمال ينفقون معظم لياليهم ساهرين عليه! وإن محبة الحبيب لاتسمح بالراحة والناس عميان يتهموننا بالآثام والسوءات! وفى نفسى لوعة الحق التى تحرقنى، ومن ثم قد قضيتُ الليالى وأنا قائم!وإن اللحم

قد فارق البدن يا(باهو!) حتى كأن الضعف يحرك العظام الواهنة الجافة حيث لاطاقة بها ولا حراك!

(١٥٦)

وقد راح الإيمان بسبب العشق، إذن فنعيش حياة الكفار؟! نشد نسيج الكفار الهنادكة بالعنق ونستقر فى معبد الأصنام لهم!؟ ولكننا لن نسجد فى بيت حيث لانرى الله ربنا الحبيب! ولا تقرأ الكلمة يا(باهو!) ما دمت لا ترى ربك! (واعبد ربك كأنك تراه!).

(١٥٧)

وإن الذين قد نالوا مكانة تسمى عدم الاحتياج إلى الغير ، ولم يعودوا فى حاجة إلى ما سوى الله، هم الذين قد اكتسبوا الفقر الكامل النهائى، وأصبحوا من الفقراء العارفين الكاملين! والذين هم أصحاب النظر الحاد الكيماوى من المعرفة والإدراك ولا حاجة بهم إلى صهر الزئبق أى عمل كيميائى! والذين لهم أصدقاء مخلصون مساندون موجودون يقومون لنصرهم، فلا حاجة بهم إلى الخوف من الأعداء الذين لا يقدرون حينئذ على الضربة أو الهجوم عليهم! وأنا أفدى بنفسى (يا باهو) لمن نال رؤية النبى صلى الله عليه وسلم والحضور لديه والمثول بين يديه!

(١٥٨)

وقد تعلمت أنت الكتابة ولكنك لم تعرف كيف تكتب، ومع ذلك فقد ضيعت الورق لماذا؟ أى انفقت حياتك غافلا عن ذكر الله فقد ضيعتها! ويبطل سعيك كله يوم تلقى كاتب القضاء والقدر عزوجل! والسعى

الصحيح المشكور يا (باهو) لمن يسعى فى حفظ الألف (من اسم الله الذاتى) والميم (من اسم محمد صلى الله عليه وسلم)!

(١٥٩)

وإذا صار الطالب السالك لله وحده أى نال قربه سبحانه وتعالى فهو حينئذ لا يشتغل بغير الله طرفة عين! وإن عشق الله وحبه قد قلع الأشجار من أصولها أى صهر الرجال الأقوياء و ألانهم فهم الآن لا يتحملون القليل من الهيبة ولو لطرفة عين! وقد ذابوا وسالوا مثل الملح فى الماء، وقد كانوا كأحجار الجبال!! ولو كان مجال العشق سهلا لرأيت كل من هب ودب يدعى العشق يا (باهو)!

(١٦٠)

لوكنت حديدا وأذابوك إذابة وسحقوك سحقا بالمطارق لأمكن لك أن تسمى سيفا لأن الحديد لايصير سيفا إلا بعد ضربه وصهره وسحقه! ولو كنت خشبا ونشروك لأصبحت مشطا، و حينئذ استخدمك حبيبك الجميل لتمشيط شعره! ولو كنت حنا فسحقوك مثل الحنا لاستطعت أن تصبغ كف الحبيب وراحته! ولو كنت قطنا و زأبروك ومشطوك لأمكن لك أن تصبح عمامة فى رؤس الرجال! وإذا صرت عاشقا صادقا يا (باهو) لتمتعت بعصارة العشق (فالسيف والمشط والحنا والعمامة كل ذلك قد مر بمراحل من الجهد المضنى والمشقة الباهظة فكيف يمكن لك أن تصير من العشاق دون مشقة وعناء!!)

(١٦١)

ولو أنك لم تحقق بعملك ما قيل" موتوا قبل أن تموتوا" لما حققت مايؤهلك للعشق الخالد! والذى يخاف الموت يموت ألف مرة كل يوم، وأما من استعد للموت استعدادا فلا يخافه أبدا! وقد حققنا ما قيل فى قولهم موتوا قبل أن تموتوا حين اشتغلنا بذكر اسم الذات أى ذكر الله عزوجل! وإذا اقترب السالك من عين الذات حتى أصبح عينها فحينئذ لاتبقى الحجب بينه وبين الله سبحانه وتعالى ولكن ذكر اسم الله الذاتى يا (باهو) عمل صعب جدا فهو يحرق السالك فلا يستريح ليلا ولا نهارا.

(١٦٢)

ويجب أن يكون المرشد مثل الصراف الذى يحط الذهب الخام فى بوتقته ليصهره! فعندما يخرجه من البوتقة يستطيع أن يصنع منه أى نوع من الحلى المتداولة بين الناس! وهذه الحلى تتألق فى آذان الحسان حين يصيقلها الصراف ويغسلها بالكيماويات المختصة! والفقير عندى يا (باهو) من يحتفظ بعهد صديقه فيذود عنه دائما و يبقى هو فى ذاكرته وعلى لسانه!!

(١٦٣)

إن زيارة المرشد واللقاء به بالنسبة إلىَّ أنا ، إنما هو كحج البيت وهو عندى باب من أبواب الرحمة! وأريد أن أختلف إليه يوميا و كأننى أطوف حول القبلة المشرفة و أحج حجا جديدا كل يوم! وقد عثرت على باب المرشد يوم سمعت قوله تعالى كن فيكون فكأننى عرفته هناك فى الأزل! وأما مرشدى يا (باهو) فهو النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم وهو حى يرزق عندالله و خالد

غيرفان فهو الذى مولاى وسيدى وهو بالنسبة إلىّ كالخضر عليه السلام فى هديه وإرشاده لى مباشرة و دون واسطة.

(١٦٤)

وعليك أن تتخذ مرشدا كاملا والذى بإمكانه أن يزودك بفرحة الدارين وسعادتهما! فهو أولا وقبل كل شئ يغنيك عن الهم فى الدنيا والفكر فى قطعة خبز، ثم يهديك إلى سبيل ربك! وهو الذى يستطيع أن يضع فضة بيضاء ناصعة من هذا الجدار الترابى المعقم أى نفسك أنت كأنّه من تراب القصار! وأن المرشد الذى لم ينفعك فى الحياة الدنيا فإن وعوده المستقبلية كلها كاذبة (ياباهو!)

(١٦٥)

وإن مرشدى لصقر من صقور الله فهو الذى قد انضمَّ إلى أحبائه المخلصين! إن أقدار الله قد شدت الأزمَّة، ولعلنى ألتحق به يوما، إذا كان ذلك من حظى ونصيبى! وإن مرشدى يداوى المجذومين الروحيين ويذهب بمرضهم الروحى كما أنه يشفى المرضى المصابين بالأمراض الروحية! إنك يا حبيبى المرشد! دواء لكل داء فلماذا تكلنى وتعهد بى إلى غيرك من الأطباء الروحيين المشائخ المرشدين (يا باهو!؟).

(١٦٦)

والمرشد كمدينة مكة المكرمة ، والطالب السالك كالحاج ، و قد جعلنا من العشق كعبتنا! فكن دائما فى حضرة المرشد أيها السالك واستفد منه استفادة كاملة وكأنك تحج البيت! إن مرشدى الكامل لا يفارقنى طرفة عين، وقلبى يتوق إليه دائما! فالمرشد (ياباهو) كأنه هو الحياة بعينها، وقد تسرب هو إلى كل شعرة من شعرات جسدى أى أفنيت نفسى فى ذات المرشد!

(١٦٧)

وإن مرشدى يسكن على بعد المئات من الأميال إلا أننى أراه قريبا من نفسى! ولا بأس إذا غاب الجسد ماديا فهو يبدولى روحيا وكأنه فى قلبى! والذين عرفوا الألف من اسم الله الذاتى ، يتقدمون بخطوات بعيدة المدى! وقد عثرنا على قوله تعالى نحن أقرب إليه من حبل الوريد وبذلك قد حلت المشاكل كلها وانتهى الجدال القائم فى مسئلة قرب الإنسان من الله ومثوله بين يديه فى حضرته تعالى(يا باهو)!

(١٦٨)

وإن المرشد الهادى صلى الله عليه وسلم قد لقّننى درسا لن أنساه، وأقرأه دون أن أردده على لسانى! وقد جعلت الأصابع فى أذنى ولكننى أسمع صوت ذلك الدرس دون الإستماع إليه! إن العيون تنظر إلى العيون نظرة مستمرة فيبدولى كأنى أراه دون النظر إليه! يا(باهو) يجب أن يكون الله رأسك وأذنك ، وحتى تشعر وكأنه فى كل شعرة من شعرات جسدك كقوله صلى الله عليه وسلم عن قربة العبد من ربه حتى يكون هو جل جلاله عين ذلك العبد التى ينظربها الخ.

(١٦٩)

وإن الذين يريدون أن يكتسبوا الفقر دون مرشد هاد يهديهم قد يتورطون فى الكفر والضلال! إنهم يلقبون أنفسهم بشيخ المشائخ ويجلسون فى حجراتهم ثم يدّعون بأنهم قد أصبحوا الأغواث والأقطاب وأنهم قد أخذوا يطيرون فى الهواء! ويتخذون السبحات فيلجأون إلى زوايا المسجد كما يأوى الفيران إلى جحورها! الليل مظلم والسفر صعب والطريق وعر (ياباهو!) حيث توجد المئات من الحفر المهلكات فعليك بالحذر والزاد اللازم.

(١٧٠)

ويجب أن ننفق الأموال والنفوس ونبتاع بها الفقر الغيور! فالفقر الغيور هو الذى يستطيع أن يوصلنا إلى الله عزوجل، فلما ذا هذا الهم والحزن إذن؟! والذين يخسرون الدين من أجل الدنيا فهم كاذبون فى دعواهم من المشيخة والطريقة إذ ليسوا من المشائخ ولاصلة لهم بالطريقة الصوفية!! وأما المرشد العظيم الذى حقق الزهد فى الدنيا والرغبة عنها (يا باهو) فهو الشيخ عبدالقادر الجيلانى، رحمه الله ، فقد اكتسب له بذلك لقب "سيد السادات" بين أولياء الله وأصحاب الطرق الصوفية!

(١٧١)

وإننى لقبيح الوجه، وحبيبى جميل جدا إذن، فأنّى لى أن أبلغ من رضاه واكتسب حبه !؟ إنه لايدخل فى عقر دارى وقد رجوته والححت عليه بمئات الحيل والوسائل أن يشرف دارى بحضوره! فإننى لست جميلا ولا غنيا ولا صاحب الثروة والمال أى الحسنات و الأعمال الصالحة الأخرى فكيف لى أن أرضى حبيبى وأرغبه فى نفسى! إن هذا الحزن المؤلم لن يفارقنى أبدا (يا باهو) وسأموت حزينا كئيبا باكيا منتحبا!

(١٧٢)

وأبواب الأديان رفيعة صعبة الدخول، وأما طريق الرب سبحانه و تعالى فإنما هو أقرب الطرق ويوصل إلى الله عزوجل! وحيث ترى البناديت والمولوية من رجال الدين والكهنوت فعليك أن تمربهم مراسريعا خفيفا خاطفا! إنهم يضربون أعقابهم على الأرض ويغمزون ويضحكون من أهل الطريقة الرحماء المتعاطفين لأنهم أعداء لهم! فعليك (يا باهو) أن تجد لك سكنا حيث لا يوجد أحد من أصحاب الدعاوى الكاذبة هؤلاء!

(١٧٣)

إننى صقر أطير وأتمتع فى النهر من كرم الله ومنه وإحسانه عزوجل! ولسانى يعادل صيغة الأمركن كما أننى أغير قضايا القلم!! هؤلاء من أمثال أفلاطون وأرسطو ليسوا بشئ أمامى! وآلاف الأسخياء من أمثال حاتم الطائى تراهم يشحذون ويستجدون على (باب باهو!!)

(١٧٤)

ولا ترافق من ليس بأهل للرفاقة حتى لا تجلب السوءة إلى نفسك والذل إلى قبيلتك وقومك أو بنى جلدتك ! إنك لو أخذت الحنظل فذهبت به إلى مكة المكرمة لما صار الحنظل بطيخا أبدا! الحنظل لا يصير بطيخا ولو ذهبت به إلى مكة المكرمة! كما أن ولد الغربان لايمكن أن يستحيل إلى إوزة أبدا! وكذلك فإن الآبار ذات المياه المرة لايمكن أن تتحول إلى الماء الزلال ولو ألقيت فيها البراميل من السكر (يا باهو!)

(١٧٥)

وإن الفقر الغيور ليس بصيحات المجانين التى تزعج الناس النائمين ليلا! كما أن أحدا لايصبح فقيرا إذا أخذ بيد العابر فأوصله إلى ساحل الوادى الجاف! وأن إرسال سجادة الصلاة فى الهواء وتعليقها لا يعتبر فقرا وكرامة! وإنما الفقر (يا باهو) هو أن ينزل إليك حبيبك فيريه فى قلبك و بعض الناس يأتون بالشعوذة ويعتبرونها فقرا، والأمر ليس كذلك وإنما الفقر هو حب الله الذى يغمر القلوب!

(١٧٦)

وإن الله سبحانه و تعالى ليس على العرش المعلّى كما أنه ليس فى بيت الحرام أو الكعبة الشريفة! كما أن العلم الكتابى لم يستطع أن يجده ويدركه سبحانه و تعالى! ولم يجده أحد من زوار النهر جنجا أو ثيراث (من أماكن الهندوس المقدسة) أبدا! وإنما كفانا أننا بايعنا مرشدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم فهو الذى قد أو صلنا إلى الله و أنقذنا من عذاب الفكر والقلق والاضطراب!

(١٧٧)

وإننى لست عالما فاضلا ولا مفتيا قاضيا! كما أن قلبى لا يميل إلى النار ولا يشتاق إلى جنة الفردوس! وكذلك فكأننى لم أصم ثلاثين يوما ولست من المصلين المطهرين! ولكننى أعتقد بأن الدنيا هذه ليست بشئ يذكر ، وإنما لعبة زائفة دون الوصال بالله والصلة به عزوجل (يا باهو!) فما الله حق وكل ما سواه باطل!!

(١٧٨)

وإننى لست سنيا ولا شيعيا فقد سئمت من كليهما وقد آذونى جميعا و أحرقوا قلبى كلهم زمانا! وقد انتهت المسافات البرية كلها حين دخلت نهرا من الرحمة! و استكان كثير من السابحين فغرقوا ولم يتمكنوا من العبور إلا القليل السعيد منهم! وقد عبر النهر بسلام (يا باهو) من اعتصم بذيل مرشده المصطفى صلى الله عليه وسلم!

(١٧٩)

وإن العباد (العارفين بالله وعُشاقه) ليسوا بالهنادكة ولا المسلمين كما أنهم لا يركعون ولا يسجدون فى المساجد! ولكنهم يرون الله كل حين إذ أنهم لم

يتركوا صلاتهم وإنما تـدوم صلواتهـم ودعواتهـم فـى غدواتهـم و روحـاتهم! وإنهم عاقلون حكماء ولكنهم قد تزيأوا زى المجانين لأنهم قد عرفوا ذات الله جل جلاله! وأنا أفـدى بنفسـى (ياباهو) لهـؤلاء الذيـن اختـاروا لعبـة العشـق ففازوا بما أرادوا أى الحب الصادق والإيمان الثابت هو الأصل فى الدين!

(١٨٠)

وإننى لست زاهداً ولا ناسكاً ، كما أننى ما خلوت لأربعين يوما فى زاوية من الزوايا! ولم أسارع للدخول إلى المسجد ولم أثر شغبا بالسبحة الكبيرة ليلا رئاء الناس ! وإن لحظـة الغـافل هـى لحظة الكـافر كمـا قالـه المرشـد الهـادى المصطفى صلى الله عليـه وسـلم ! وقـد أحسـن إلى المرشـد (يـا بـاهو) حيـث أبلغنى إلى المنزل فى لحظة واحـدة أى الإخـلاص هـى الطريقـة والصـدق هـو التصوف!

(١٨١)

وإن الصلوات النافلة من أعمال النسوة كما أن صيام النفل يهدف إلى ادخار الخبز! كمـا أن الذاهبـين إلى مكـة حجاجـا زائريـن رئـاء النـاس هـم الذيـن يتكَسَّلون غافلين عـن أعمـالهم! كمـا أن الذيـن يؤذّنـون بـأصوات عاليـة إنمـا ينوون سوء من وراء ذلك! وأما الذين يجدون عندهم ما يغنيهم من ذلـك فـلا يخفلون بهذه الأشياء من الرياء والخداع أى أن العمل الصالح هو الـذى يخلـو من الرياء!

(١٨٢)

ولا يوجد فى عصرنا هذا طالب ولا مرشد ، كـل الـذى نـراه إنمـا هـى حِيَلٌ خادعة أو عزاء كاذب إن طريق الفقـر بعيـد، والنـاس بعيـدون عنـه ، فـالكل يطمعون فى الدنيا وزخارفها! وعندمـا يغلـب حـب الله والشـوق إليـه، نـرى

أرواح العارفين تسارع وتتوق إلى ربها وتستعجل الموت! والواقع (يا باهو) أن الجسد الذى تشتعل فيه نار الشوق إلى الله ويشعر بلوعة الفراق، يكون على أتم استعداد أن يموت جائعا عطشانا! (أحباء الله الصادقون لا يحفلون بشئ من الجوع والعطش فى طريقهم إليه سبحانه وتعالى!!).

(١٨٤)

وإن دنيانا هذه ذليلة قبيحة نطردها طردا فنضربها بأحذيتنا! بينما نرى كبار الشيوخ الذين يَدَّعون النسبة إلى الجشتية وغيرها من الطرق الصوفية، يجلسون فيكون للدنيا وزخارفها! إنهم ليعيشون فى حب الدنيا، وبذلك قد غرقت سفينة زهدهم وتقواهم! وأما الذى ترك الدنيا فعلاً (يا باهو) فهو القادرى الذى يقود طريقُه إلى جنة الفردوس!

(١٨٥)

وإنهم يعيشون فى مكان قريب ولكنهم يبدو و كأنهم بعيدون فلا يدخلون صحن الدار! ولم يعرفوا طريق البحث عن ربهم داخل المنزل أى القلب ، وتراهم يخرجون فى مهمة البحث عنه فى الخارج! ولكنه لا فائدة فى البحث عنه فى الخارج لأن الحبيب الحقيقى جل جلاله يوجد داخل المنزل أى القلب! وعليك (يا باهو) أن تصيقل قلبك حتى تجعله مثل المرآة، وحينئذ سوف ترى أن الحجب والأستار كلها قد رفعت وذهبت إلى غير رجعة أى الله أقرب إلى عبده من حبل الوريد! والمهم هو الاستعداد الباطنى!

(١٨٦)

وإن بحار رحمة الله واسعة لا ساحل لها ولا شاطئ وقد أخذت تفيض فيضانا حتى استحالت البوادى والصحارى إلى المستنقعات والأراضى السبخة! وبعض الناس لايؤمنون بالعشق الحقيقى ولكنهم، رغم ذلك ، يتحملون وطأته

ويجربون حره و سخونته! وقد رأينا مئات الشباب ذوى الجمال والقدر يلطخون أنفسهم بلون العشق الرمادى! وأنا أفدى بنفسى يا باهو لهؤلاء العشاق الذين يتحمسون للتواضع والاستسلام لأمر الله عزوجل!!

(١٨٦)

وإن بحار التوحيد زاخرة مزبدة متلاطمة وقد فاضت بهديها إلا أن بعض القلوب المريضة لم تشعر بذلك إطلاقا! بينما نال بعضهم وصال الله وهم معتكفون فى معابد الأصنام وقد بقى البعض الآخر منهم فى مساجد الله ولكنهم قد حرموا من الوصال! وقد تنازل بعض الأفاضل عن فضيلتهم وضحوا بأنفسهم فى سبيل لعبة العشق! ولم يرزق برؤية الله ولقائه (يا باهو) من لم يضح بما كان لديه من البضاعة ولم ينفقها فى سبيله أى حب الله يقتضى التضحية و الكرم والسخاء!

(١٨٧)

وإن الوحدة نهر حيث يسبح فيه العشاق من أحباء الله وأوليائه ، وهم يغوصون فيه فيستخرجون اللآلى من الرضا والتقرب إلى الله عزوجل ! و فى هذا النهر من الوحدة قد تلألأ سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم مثل الدر الفريد كأنه بدر ينور الكونين! فلماذا (يا باهو) لا يدفع خدامه و أتباعه صلى الله عليه وسلم المحاصيل والضرائب لحضرته صلى الله عليه وسلم (أى علينا أن نصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلّغنا الرسالة وهدانا إلى طريق الصدق والأمانة والحق).

(١٨٨)

وإن السفر فى طريق الرب عزوجل قد وجب علىَّ منذ أن تم العهد بيننا وبين البارئ جل شانه بحكم قولنا: "بلى" في الأزل حين سأل قائلا لنا ألست

بربكم! و يعتقد الناس أنى حزين متفكر منذ اقتحمتُ مجال الوحدة ولكن الأمر ليس كذلك! إن ضربات الحبيب جل شأنه من المسؤلية التى حملنيها سوف أتحملها إلى النهاية واضعا رأسى من الإطاعة تحت أمر العشق ! ولم يجد أحد حبيبه وهو حى (يا باهو) بل وجده العارفون بعد موتهم أى رؤية البارئ تعالى والنظر إليه يوم الحشر و أن البلوغ من رضاه ليس بأمرهين!

(١٨٩)

وقد تمرنت السباحة فى أودية المعرفة والطريقة حتى أصبحت سبَّاحا خبيرا فى المجال وقد نضجت خبرتى فى السباحة حول الأكمات الملتفة الخطيرة ! وحبيبنا فى القصر الملوَّن ونحن وقوف على بابه نرقب ونتوق إليه توقانا! وليس أحد يأتى أو يذهب هناك فكيف نستطيع أن نتراسل ومن يوصل الرسائل إلى ذلك المنزل الصعب البعيد؟! وعند ما يأتينا الخبر عن الحبيب (يا باهو) يَسُرُّنا جداً وتتفتح البراعيم لآمالنا فتصبح أزهارا!!

(١٩٠)

وإن كلمة "هو" تجرى على ألسنة العارفين الصوفية فتغلب وتسيطر على عقولهم فيجتهدون فى ذكر اسم الله الذاتى فيكتسبون به الأهداف من الوصال بالله، حيث لاكفر ولا إسلام ولا مكان ولازمان حتى ولا موت ولا حياة هناك! إلا أننا حين نظرنا إلى داخل القلب وجدناه سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد! إنه فينا و نحن فيه (يا باهو) فقد انتهت المسافة التى كانت تفصل بيننا وبين الله عزوجل!

(١٩١)

والسالكون أنواع، ولهم درجات، فمنهم الذين يسهرون ليلاً، ومنهم الذين لا يذوقون النوم ولا يعرفون السهر إطلاقاً ، ومنهم الذين يسهرون وهم نيام!

ومنهم من وصل إلى هدفه و هونائم، ومنهم من سهر دون جدوى! إننى أفدى بنفسى (يا باهو) لمن استخرج المياه من بئار العشق أى بذل أقصى جهده فى سبيل الحب لله عزوجل و فى طاعته و العلم بشرع الله عزوجل فنال التقرب إليه وفازبما أراد!

(١٩٢)

هناك شخص واحد، هو وحده صديقى وحبيبى ، ومئات الألوف أعدائى، وذلك الشخص الواحد قد أغضبتُ مئات الألوف من أجله، وأنا على استعداد أن أموت فى سبيله أى لا أحفل فى مرضات الله بغضب ما سواه! وقد أنفقنا الحياة كلها فى سبيله، و أما غيره من الخلق كله فإنهم يعتبروننى سارقا غافلا عنهم! وأنى لهم أن يقدروا أو يفهموا قيمة صداقتنا وحبناله سبحانه وتعالى! فهم غافلون ولم يجربوا ذائقة الحب لله عزوجل!؟ ولماذا يهيمون على أبواب الناس ويُطردون منها، وقد نذروا نفوسهم لباب واحد يستحق الحب الصادق (يا باهو) ألا وهوالله الواحد القهار؟!

(١٩٣)

وحيثما توقد نارُ العشق، تحرق نسيجا من ثياب العز و الحياة فى كل لحظة أى العاشق يفضح نفسه دائما!! وإلى متى أضئ مصباح العقل بينما أواجه عاصفة من الفراق دائما! ولا يعرف أحد سر من سُلب أو نُهب ماله فقد ضاعت الآلاف المؤلفة من الجواهر واللئالى فأنى لأحد أن يقدر خسارة هؤلاء المسلوبين المنهوبين! ولا يمكن أن يُزيل أحد، (يا باهو)، وصمة اللون الأسود الثابت! أى من المستحيل أن يضل أحد من أحباء الله عن سبيله والطريق السوى المستقيم إلى حضرته سبحانه وتعالى!!

(١٩٤)

وقد بعتَ الضحك بالبكاء أيها الإنسان ! فمن الذى شجعك على هذه الخسارة وعزّاك عنها؟! إنك قد ضيعت الآخرة بالدنيا فمن شجعك على ذلك؟! إن حياة المرء قد تنقضى كما تذوب العلكة الفقاعية من السكر فى الماء! إن لحد القبر ضيق جدا وسوف يلقون بك فيه حيث لا تستطيع أن تقلب ذات اليمين أو ذات الشمال! وأن المولى عزوجل سوف يحاسبك (يا باهو) حسابا عسيرا حيث تحاسب على كل حبة ومثقال من العمل أى لا تشق بحياتك الفانية وكن على استعداد للحساب بين يدى الله عزوجل!

(١٩٥)

ولا يوجد دواء يفيد القلب غير الكلمة الطيبة التى هى وحدها دواء مجرب ينفع للقلب!! إن الكلمة هذه تزيح الصدأ عن النفوس كما أنها تطهرها من الدنس والوسخ! والكلمة إنما هى الجواهر واللآلى، كما أن هذه نفسها هى حانوت العطار! والكلمة (يا باهو) هى الثروة كلها هنا أو هناك فى الدارين كليهما!

(١٩٦)

وترى الناس جميعا، يبكى كل واحد منهم، وقد أصابه ألم واحد فقط، وأما العشاق فقد ابتاعوا مئات الألوف من الآلام ! وإن المرء فى مجال العشق حيثما يسقط قد تزل به قدمه وتنحدر به انحدارا إلى الحضيض الأسفل، فمن الذى يركب هذه السفينة الآمنة من حب الله عزوجل؟! وأما العشاق فتراهم يركبون هذه السفينة راضين راغبين فيها فيسرعونها إسراعا مُجَدّفين بكل حذر حيث يرون الورطة الخطيرة من حب الله! وحيث يوزن العشق فى

ميزان المثاقيل والحبات (يا باهو) و سوف ترى العشاق يشترونه بكل الأثمان ويجدون اللذة والحلاوة فى تلك المساومة! أى أن أولياء الله وأحباءه لا يخافون مسالك الطريقة مهما كانت وعرة خطيرة وأما غيرهم من الناس فتراهم خائفين من أتفه الأخطار وأخفها فى الطريق إلى الله!

(١٩٧)

وإنك سوف تلقى حبيبك الفريد، ولكن يجب عليك أن تستعد للعبة الموت أى يجب أن تخاطر بنفسك لكى تلقى ربك جل جلاله! وكن مخمورا فى عشق الله وحبه، ويجب أن يجرى على لسانك ذكر هُوْ هُوْ! ويجب أن تكلف نفسك وتتصور فى ذهنك اسم الله الذاتى ! و حين تنضم ذاتك إلى ذات الله (يا باهو) فحينئذ تستحق أن تعرف باسم "باهو" أى مع الله!، (وهذا هو معنى لقب الشاعر ، فإن لقب "باهو" يعنى معه أى مع الله عزوجل!!)

***